الإسلام وتحديات العولمة

اللواء الدكتور

محيى محمد مسعد

المحامى و المستشار القانونى

الأستاذ المحاضر للدراسات القانونية و الاقتصادية

بجامعة الإسكندرية و المعاهد العليا

مركز الاسكندرية للكتاب

٤٦ ش الدكتور مصطفى مشرفة

الأزاريطة ت ٤٨٤٦٥٠٨

إهـــــــداء٢٠٠٦

اللواء الدكتور / محيى محمد مسعد
الإسكندرية

الإسلام
وتحديات العولمة

اللواء الدكتور
محيى محمد مسعد
المحامى والمستشار القانونى
الأستاذ المحاضر للدراسات القانونية والاقتصادية
بجامعة الاسكندرية والمعاهد العليا

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

مركز الإسكندرية للكتاب
٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة
تليفون: ٤٨٤٦٥٠٨ - الاسكندرية

رقم الإيداع ٢٠٠٦/٧٥٧٤

الترقيم الدولي .I.S.B.N
977-388-061-3

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شئ قدير﴾

(المائدة – الآية ١٢٠)

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾

(آل عمران – الآية ١٠٤)

﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾

(المائدة – الآية ٢)

﴿الذين أن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾

(الحج – الآية ٤١)

الاهــداء

إلى ذكرى استاذى الجليل والحبيب المرحوم بإذن الله تعالى
الاستاذ الدكتور/ أحمد فراج حسين رئيس قسم الشريعة
الإسلامية بكلية الحقوق - جامعة الاسكندرية
وعميد كلية الحقوق - جامعة بيروت سابقاً

تقديم وتقسيم

ولأن العالم الإسلامى يقع فى قلب الصراع العالمى المحتدم، مما يجعله مستهدفاً من النواحى كافة، ومعرضاً لمخاطر من جميع الأطراف التى تتصارع فى الساحة الدولية، فقد ترتب على هذا تفاقم التحديات التى تواجهه بصورة تؤثر بشكل عميق فى الحياة العامة وتنعكس آثارها السلبية على العملية التنموية برمتها.

ومن هنا تأتى أهمية هذا الكتاب للمساهمة فى مواجهة هذه التحديات، من خلال الفصول التالية:

الفصل الأول: سيرة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثانى: القرأن الكريم والانسان.

الفصل الثالث: أنه الإسلام.

الفصل الرابع: الأسرة ورؤية الشريعة الإسلامية.

الفصل الخامس: الفساد وأيدى الناس.

الفصل السادس: العولمة والعالم الإسلامى.

الفصل الأول
سيرة رسولنا
محمد صلى الله عليه وسلم

أولاً: لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة

يجب أن يتخذ المسلمون من دراسة تاريخ الرسول (ﷺ) وخلفائه الراشدين العبرة والعظة التى تدفعهم إلى التماس المجد من طريقه الصحيح، ومن الأسف أن يلتمس غير المسلمين هذا المجد من الطرق التى أوضحها الإسلام فيصلوا إلى ما وصلوا إليه من قوة ومنعة، وأن يتخلف المسلمون ويقعدهم الخمول والاستكانة عن أن يدركوا هذا المجد وقد واتتهم الفرص للنهوض، وإعداد ما استطاعوا من قوة للدفاع عن حوزتهم والاحتفاظ بكيانهم فأهملوها، ولو أنهم فعلوا لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من حالا لا ترضى أحداً ولا يمكن أن تكون هذه هى حال المؤمنين الصادقين الذين يقضى عليهم إيمانهم بالاعتزاز بالله والإعتداد بالذات، حب الموت فى سبيل الحياة العزيزة الخالدة: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾.

إن الإيمان الصحيح هو الذى استطاع به محمد بن عبد الله النبى الأمى وأصحابه وهم فئة قليلة ضعيفة، أن يكونوا من القبائل المبعثرة المتفرقة الموزعة فى أنحاء الجزيرة العربية فى فترة وجيزة، أمة حية قوية متحدة، أسقطت الملوك والعروش، وبسطت سلطانها على الشرق والغرب، ومكنت للفضيلة فى نفوس العالمين والسبب فى ذلك أن العقيدة تمكنت من نفوس محمد وأتباعه، وملكت عليهم كل وجودهم فمنحوها جهودهم، منحوها أموالهم وحياتهم، وأعتقدوا أنهم على كل حال منتصرون، اعتقدوا أن كل ما يلاقون من المحن والبلايا ما هو إلا طريق معد إلى نصر محقق إن لم يكن فى دار الفناء ففى دار الخلد والهناء ﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا، فتربصوا إنا معكم متربصون﴾ لقد أحبوا الله ورسوله أكثر من كل ما سواهما، وفنوا فى هذا الحب وباعوا كل ما ملكوا فى سبيلهما، وذلك سبيل النصر السريع وسبب العظمة التى قبضوا على زمامها بعد ضعف.

وواجب المسلمين اليوم أن يتفهموا موقفهم، وأن يفكروا فى مصيرهم وأن ينتهزوا الفرص وهى سانحة فيعملوا متحدين متآخين على تحقيق الغرض الأسمى وهو رفع لواء الحق، وإعادة التراث المفقود، وإعلاء كلمة الإسلام، لينجوا بأنفسهم من الذلة إلى العزة، ومن الضعف إلى القوة، ومن الموت إلى الحياة إن كانوا مؤمنين حقاً: ﴿وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾.

وأعتقد أنه لا يمكن لرجل من رجال الإنقلابات التاريخية المعروفة له ما لمحمد (ﷺ) فى ظروفه الخاصة، وبيئته الخاصة، وقلة اتباعه وفقرهم، ثم كان ما كان لمحمد وأتباعه من نصر وفتح، وتمكين أمتد به سلطانه حتى شمل فى وقت وجيز المشرق والمغرب من بلاد الصين إلى بلاد الأندلس.

إذا ما علت فى الصين أنوار كوكب   من الدين حيـــاة ببرقـة كوكب

ما أحوجنا فى هذا العصر إلى دراسة حياة هذا الرسول العظيم، وتعرف نواحى العظمة فى تاريخه وتاريخ أتباعه الذين أزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه فإنها جديرة أن تبعث فى نفوسنا الرغبة فى إعزاز هذا الدين ورفع راية القرآن.

﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ....﴾.

ثانياً: فضائل النبى «صلى الله عليه وسلم» ورسالته

اجتمعت لرسول الله (ﷺ) الكثير من الخصائص والفضائل التى تجعله متميزاً عن سائر الأنبياء، وكذلك اختلفت رسالته عن غيرها.

نذكر عدداً من تلك الفضائل والمعجزات لم تعط لغيره من الأنبياء منها:

ان الله قرن ذكر محمد (ﷺ) بذكره، وأمرنا بأن نردده فى الشهادة والأذان

والتشهد، وهذا من كرامته على الله، ولم يحدث هذا مع نبى من أنبياء غيره.

– قرن الله عز وجل طاعة محمد (ﷺ) بطاعة الله فقال: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾، وبيعته ببيعة الرسول.. ﴿ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله...﴾. وقرن أيضاً عزته بعزة محمد فقال: ﴿ولله العزة ولرسوله﴾.

نادى الله سائر الأنبياء فى القرآن الكريم بأسمائهم.. أما محمد – ﷺ – فكان نداؤه ﴿يا أيها النبى..﴾ و﴿يا أيها الرسول..﴾ وما كان ذلك إلا لفضله على سائر الأنبياء ورفعته عليهم.

– جعل الله الملائكة تسجد لآدم، وجعل آدم وسائر الأنبياء تحت لواء محمد (ﷺ) يوم القيامة، كما جعل جبريل – أفضل الملائكة – هو الآخذ بركاب محمد فى ليلة المعراج، ثم أنه تعال صلى بنفسه على نبينا الكريم وأمر الملائكة والمؤمنين بالصلاة عليه.

ولا نجد أفضل من قول الرسول (ﷺ): «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلى ولا فخر: بعثت إلى الأحمر والأسود، وكان كل نبى قبلى يبعث إلى قومه، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب أمامى مسيرة شهر، وأحلت لى الغنائم، ولم تكن لأحد قبلى، وأعطيت الشفاعة فادخرتها لأمتى.. فهى نائلة إن شاء الله، لمن لا يشرك بالله شيئاً». وعن مميزات وصفات رسالة محمد (ﷺ): لقد اجتمع للرسول (ﷺ) وصفان متتابعان متلازمان بما لم يجمع لغيره، وذلك فى قوله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبى الامى..﴾ ويفهم من هذه الآية أن العقيدة الإسلامية تهدف إلى الاهتمام بالمبادئ والمقاصد فى المقام الأول والأكبر.. وهاتان الصفتان (النبوة والرسالة) تميزتا عن غيرهما بعدة صفات منها: عالمية الدعوة، فقد كان كل رسول من قبله يبعث إلى قومه خاصة، وبعثه الله – سبحانه وتعالى – إلى الناس كافة، والقرآن الكريم معجزته الكبرى لإبقاء النبوة والرسالة إلى يوم الدين، والشمولية لحقوق الله تعالى وحقوق

العباد، ويظهر هذا فى أن مكونات الدين الحق «عقيدة، شريعة، أخلاق»، وفى قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾.

ثالثاً: سيرة رسولنا.. كيف نحقق بها النهضة المنشودة؟

كيف نحتفل بذكرى المولد النبوى الشريف؟! وهل تختلف صورة الاحتفال فى ظل الظروف الراهنة التى تعيشها الأمة الإسلامية حالياً؟ وهل يمكن أن يكون الاحتفال بهذه المناسبة العظيمة بداية لاستعادة الأمة لنهضتها، وبداية لصحوة إسلامية فى مختلف المجالات؟

كيف يتحقق ذلك؟ وما هو واجب الأمة - أفراداً وجماعات - فى تحقيق هذه الصحوة؟ هل احتفالنا بهذه المناسبة الشريفة يكون شكلياً أم يجب أن يكون جوهرياً؟ وكيف؟!

أن أفضل ألوان الاحتفاء بالمولد النبوى الشريف أن تعود الأمة إلى جوهر الإسلام الصحيح وأن تعود إلى العمل بتوجيهات صاحب الذكرى سيدنا محمد (ﷺ) وأن تحاول الاقتراب من القرآن الكريم والسير على هديه تنفيذاً لأوامره وانتهاء لنواهيه والالتزام بمنهج الرسول الكريم وهدى السلف الصالح فيما عرفناه عنهم من أخلاق وسلوكيات وفضائل سادوا بها العالم ونشروا الحب والمودة والرحمة فى البشرية جمعاء.

أنه ينبغى على المسلمين فى هذه المناسبة العظيمة المحببة للنفوس والتى كانت نوراً وهدياً للكون بعد أن عاشت البشرية فى الجاهلية والظلمات أن يبتعدوا عن السلوكيات والأخلاق التى فيها جاهلية وعصبية وعنصرية وهى السلوكيات التى ابتلى بها كثير من المجتمعات المعاصرة فيجب على الأمة أن تتعاون فيما بينها لنبذ الاحقاد والخلافات وأن تتوحد الأمة على قلب رجل واحد لمواجهة التحديات المختلفة التى تهدد مستقبلها وعطاءها الحضارى وأن تترفع عن

الصغائر والخلافات الجانبية وأن تعمل بجميع أفرادها ومؤسساتها حكاماً ومحكومين على تحقيق مصالحها العليا التى تحقق لها القوة والكرامة والانتصار فتحقيق ذلك أفضل احتفال بالرسول الكريم بمناسبة مولده (ﷺ).

أن أبلغ طريقة للاحتفال بمولد الرسول (ﷺ) هى الالتزام بالسير على هديه والتخلق بخلقه وفضائله فلا ينبغى على الأمة أن تهتم فقط بالاحتفال بصاحب الذكرى من الناحية الشكلية، وإنما ينبغى أن يكون الاحتفال بالرسول العظيم جوهراً وتطبيقاً فى القول والعمل والسلوك.

أن الأمة لن تنهض من كبوتها إلا بالعودة إلى القرآن الكريم والسنة المحمدية فى كل شئونها وأنه يجب أن تتخذ الأمة من مولد الرسول (ﷺ) بداية لصحوة إسلامية فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية، وأن توقظ فى الأجيال الجديدة القدوة الحسنة والمثل الأعلى والذى كان عليه الرسول (ﷺ) وحثنا الله تعالى عليها فى قوله ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾..

أن الاحتفال بالمولد النبوى الشريف يستهدف إحياء المعانى الكريمة التى نادى بها الرسول (ﷺ) رسول الإسلام ومنها الأخوة بين المسلمين، ففى الحديث الشريف «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» فإن لم ننصر إخواننا المسلمين فإننا نظلمهم ونتركهم وحدهم أمام أعداء الإسلام الذين لم يقفوا عند حد لأن الحرب الدائرة الآن ليست ضد أشخاص وانما هى ضد المبادئ الإسلامية وللتطاول على الإسلام والمسلمين.

أن المولد النبوى الشريف يأتى والجسد الإسلامى مريض ومقعد فلابد أن يكون للمسلمين موقف حازم يؤثر تأثيراً كبيراً على هؤلاء بأن يكون ذلك بالمقاطعة الاقتصادية لجميع منتجات الدول التى تعادى المسلمين وتحاربهم، فالمقاطعة إذا جاءت من مليار وربع مليار مسلم فسوف تهز أقوى اقتصاد فى العالم فهل نفلح فى ذلك؟!

الأمة يجب أن تحيى أخلاق محمد (ﷺ) وتحيى المبادئ والقيم الإسلامية التى قامت عليها الحضارة والنهضة الإسلامية قديماً بأن نجعل من هذه المناسبة موسماً لنشر أخلاق وشمائل محمد عليه الصلاة والسلام بين فئات الأمة بكل وسائل النشر المكتوبة والمرئية والمسموعة، وأن تصوم الأمة عن الصغائر وتنتهى عن المباذل التى تعود الكثير عليها ليتطهر المجتمع الإسلامى من كل الأمراض السلوكية والخلقية والعلمية والثقافية وأن تتعلم الأمة كيف تدافع عن نفسها وكرامتها وعقيدتها.

رابعاً: علموا أولادكم: محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

هناك واجب الآباء والأمهات نحو الأولاد والشباب فى اغتنام فرصة الاحتفال بالمولد النبوى الشريف لغرس القيم الروحية والإسلامية الصحيحة الداعية إلى الرحمة والتسامح فى نفوس أبنائنا ونبذ العنف والتطرف والحث الدائم على التوكل على الله والسعى المستمر لما فيه خير البلاد والعباد وغير ذلك من القيم الرفيعة والنبيلة التى تتجسد فى شخصية سيدنا محمد (ﷺ) نبى الرحمة ورسول البر والشفقة.

أنه ينبغى علينا جميعاً أن نتمسك بحب رسول الله سيدنا محمد ابن عبد الله (ﷺ) ليكون نبراساً لنا يضئ حياتنا، فهو القدوة الحسنة لكل أفراد أمتنا الإسلامية اليوم كما كان قدوة لأصحابه وأنصاره ومن آمن به وبرسالته وكيف لا نحب رسول الله (ﷺ) وهو الكامل الذى يدعو إلى الكمال والمثل الأعلى للتكامل الإنسانى والسمو البشرى الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه وأرسله إلى الناس كافة نبياً خاتماً يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة.

ويجب على الأمهات والآباء فى يوم ميلاد الرسول الكريم بل وفى جميع المناسبات الإسلامية أن يجلسوا إلى أبنائهم وبناتهن ليتدارسوا السيرة العطرة لهذا الرسول الصادق الوعد الأمين نعلمهم أن الله تعالى اختاره يتيماً لئلاً يكون

لأحـد على رسولنا فضل وليعلموا أن يتمه وفقره كان بركة ورحمـة وكان لطفـاً ونعمة رباه ربه وأكرمه وأدبه فأحسن تأديبه ونعلمهم أن من أسمائه (ﷺ) «نبى الرحـمـة، ورسول الرحـمة، والرحـمـة المهداة» وأنه كان يداوى النفـوس المريضة بالرحمة ويعالج الشارد من الأمة بالالفة والشفقـة كما يجب علينـا أن نعلم أولادنا حب نبينا محمد (ﷺ) لأنه لا يؤمن المرء ولا يذوق حلاوة الايمان حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما لقوله (ﷺ): «لا يؤمن أحـدكم حتـى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف به في النار» ولقوله «من أحبنى فقد أحب الله» ولقوله تعالى ﴿من يطع الله ورسوله فقد أطاع الله﴾.

نعلم أولادنا أن محمدا (ﷺ) صفوة وخاتم النبيين والمرسلين وأن الله تعالى أقسم بحياته دون سائر الانبياء فقال تعالى ﴿لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون﴾ وأن الله تعالى فضله على جميع خلقه وجميع الانبياء والمرسلين السابقين بان جعله أماماً لهم ليلة الاسراء والمعراج وأنه (ﷺ) خير من بلغ الرسالة وادى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وجاهد فى سبيل الله حق جهاده حتى اتاه اليقين.

ويجب أن نغرس فى نفوس أولادنا محبة ال بيته الطاهرين الطيبين لقوله تعالى ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ وقال تعالى ﴿لقـد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليـوم الآخر﴾ فاللهم علمنا حبه وحب من أحبه واكرمنا بحبه واجعلنا فى صحبته يوم لقائك واسعدنا بشفاعته ولنلقاه وهو راض عنا يا رب العالمين.

خامساً: ماذا لو بُعث فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم؟

هب أن الله تعالى أرسل رسوله محمـداً (ﷺ) إلى العالم اليـوم ليعيش بيننا فترة زمنية ثم يعود إلى ربه، فماذا سيقول للمسلمين وماذا سيقول للعالـم أجمع؟

هل سيحتفل مع المسلمين بذكرى مولده فرحاً وسعـادة لما قدمـوه من أسـوة حسنة وصورة مشرقة للإسلام؟ هل سيلبى دعوة أئمة الفرق والمذاهب المختلفة لحضور احتفالاتهم بمولده تكريماً لهم على ما قدموه من جهد فى طريق وحدتهم، هل سيسعد بسماع الابتهالات الدينية التى تتحدث عن شمائله وخلقه العظيم وهو يرى المسلمين وقد ابتعدوا عن جوهر الدين وتمسكـوا بظاهـره؟

إنه من الغفلة أن نظن أن رسول الله سيسعد ويفرح بتفرقنا إلى شيـع واحزاب دينية متصارعة أو سيسعـد بالخلافات القائمة بين القادة والزعماء العرب وهم أمام تحديات مصيرية مشتركة، فها هو رسول الله ينظر إلى العالم الإسلامى والعربى وكله حزن وأسى على ما فرط فى وحدته وقوته الحامية لعزته.

ويسأل رسول الله: هل يحل لمسلم أن يفتى باستحلال دم المدنيين الآمنين العزل وأخذهم على غرة دون سابق إنذار بدعوى «قال الرسول»؟! وهل يحل للمسلمين أن يتركوا الأخذ بأسباب القوة ومقومات التقدم الحضارى فيصبحوا عالة على غيرهم تنتهك حرماتهم وتسلب خيراتهم ويعتدى على مقدساتهم. فلا يجد كثير من فقهائهم سبيلاً أمام تفوق عدوهم العسكرى وتملكه لأسلحة الدمار الشامل إلا إصدار فتاوى استحلال الدماء العشوائية تلك التى يدفع ثمنها المستضعفون من الشيوخ والنساء والولدان الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً؟ ويعلن رسول الله: أن مسألة تكفير البشر واقامة فتاوى الخصومة والبغضاء والتقاتل واستحلال الدماء بغير الحق لا يتبناها اليوم ولا ينتصر لها إلا من طمست المذهبية قلبه وغيبت عقله، فالحكم بالكفر على انسان، كما بين القرآن الحكيم لا يكون إلا بعد إقامة الحجة على هذا الإنسان أنه كفر بربه وليس لأنه كفر بعقيدة خصمه أو بمذهبه الفقهى!!

فإذا وصلنا إلى هذه المرحلة من السمو الإيمانى والسلوك الأخلاقى القويم فى علاقاتنا الاجتماعية يصبح على المسلمين أولاً أن يضربوا المثل الأعلى فى بيان عظمة هذا الإسلام ليس بالكلام الانشائى ولكن بالسلوك الحضارى الذى يشهد بذاته أن أمتهم هى حقاً خير أمة اخرجت لهداية الناس إلى صراط ربهم المستقيم، ليس فى مجال العبادات وحده ولكن فى جميع مجالات الحياة.

وأرى رسول الله يصدر بياناً يبثه إلى العالم أجمع وهو ينظر إلى المسلمين نظرة شفقة ورحمة نظرة وداع، فيقول: إن المسلمين ليسوا حجة على الإسلام وإنما الإسلام هو حجة الله على العالمين، وإن مرجعية هذه الشريعة الإسلامية الخاتمة قد جعلها الله تعالى فى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أية دالة فى أى عصر على صدق الرسول فيما بلغ، لذلك تعهد الله تعالى بحفظها ولم يتعهد بحفظ غيرها من كتب تراث الأمة الدينى.

سادساً: «محمد ﷺ» وكتابات المستشرقين المنصفين

لقد وقف بعض المستشرقين وقوفاً منصفاً تجاه رسول الله (ﷺ) وقفوا إنصافاً منهم للحقيقة والتاريخ، فبعضهم عد محمداً (ﷺ) قائداً وزعيماً، وبعضهم جعله فى مصاف المصلحين الاجتماعيين، ورائداً من روادهم، وآخرون رأوا أنه أحد عباقرة العالم الذين يندر أن يحظى العالم بمثله.

لقد كفانا الله تعالى الحديث عن محمد، حين وصفه بالشخصية الإنسانية الكاملة فقال **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** (آية ٤ – القلم).

وأعجب المستشرقون المنصفون أشد الإعجاب بشخصيته (ﷺ)، لذا أبرزوا النواحى الإنسانية فى النبى إكباراً وتقديراً.

وصفه «بارتلى سانت هيلر» بأنه «أكثر عرب أهل زمانه ذكاء، وأشدهم تديناً، وأعظمهم رأفة، وأنه نال سلطانه الكبير بفضل تفوقه، وأن دينه الذى دعا إلى اعتقاده كان جزيل النعم على جميع الشعوب التى أعتنقته».

وقال (أرفنج) : «كان الرسول فى كل تصرفاته منكراً ذاته، رحيماً بعيداً عن التفكير فى الثراء والمصالح المادية، فقد ضحى بالماديات فى سبيل الروحانيات».

ويقول «كارليل»: «لقد كان زاهداً متقشفاً فى مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه، وسائر أموره وأحواله، كان طعامه مادة الخبز والماء، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار، وكان يصلح ويرفو ثوبه بيده».

وقال «جوستاف لوبون» فى كتابه (حضارة العرب): «كان محمد (ﷺ) شديد الضبط لنفسه، كثير التفكير، صموتاً، حازماً، سليم الطوية، وكان صبوراً قادراً على احتمال المشاق، بعيد الهمة، لين الطبع، وديعاً، وكان مقاتلاً ماهراً، فكان لا يهرب أمام الأخطار، ولا يلقى بيده إلى التهلكة».

ويتحدث المنصفون من المستشرقين عن شخصية عالمية وعبقرية نابعة كان لها ولا يزال أكبر دور وأعظمه فى مصير العالم ذلكم هو محمد بن عبد الله (ﷺ) يقول «مارتين» فى كتابه (تاريخ تركيا) «إن محمداً فيلسوف وداع ومشرع، وهو فاتح أفكار، ومقيم عقائد معقولة، وعبادة بلا صورة، ذلكم محمد الذى كان أعظم من كل المقاييس التى تقاس بها العظمة الإنسانية».

ويقول «تولستوى»: «لا ريب أن محمداً (ﷺ) كان من عظماء الرجال المصلحين: الذين خدموا المجتمع الانسانى خدمة جليلة، وأنه يكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسكينة والسلام، وأنه هو الذى منعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية».

الفصل الثانى
القرأن الكريم والانسانِ

أولاً: القرآن وحقيقة تكوين الإنسان

أقام الإسلام شريعة للإنسان على أساس تكوينه.. قال الله تعالى: ﴿إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ الحجر ٢٨ - ٢٩ ومن أنوار الحبيب قوله الشريف ﷺ (الناس كلهم بنو آدم، وأدم خلق من تراب) رواه الترمذى.

أن المخلوقات بدأها سبحانه وتعالى بداية واحدة، انتهت بخلق الإنسان ولابد إذن أن تكون الأحياء متصلة بعضها ببعض إذ لو انفصلت لكان معنى ذلك بدايات مختلفة، خلق الله المخلوقات الحية جميعها بداية واحدة من عناصر متعددة.

أولاً: لقد كان خلق الإنسان من عناصر هذا الطين اللزج المتحول إلى صلصال ثم من النفخة العلوية التى فرقت بينه وبين سائر الأحياء ومنحته خصائصه الانسانية التى أفردته منذ نشأته عن كل الكائنات الحية.

ثانياً: هذه النفخة التى تصله بالملأ الأعلى وتجعله أهلاً للاتصال بالله والتلقى عنه، ولتجاوز النطاق المادى الذى تتعامل فيه العضلات والحواس إلى النطاق التجريدى الذى تتعامل فيه القلوب والعقول.

ثالثاً: الانسان مكون من جسد وروح، أما الجسد فقد قام العلم بدراسته والتعرف على مكوناته المادية وأثبت العلم الحديث أن جسم الإنسان يتكون من عناصر أساسية ٩٨ ٪ من كتلة الجسم وهى الاكسجين ٦٣ ٪ والايدروجين ١٠ ٪ والكربون ٢٠ ٪ أما النيتروجين والكالسيوم والفوسفور ٥ ٪. والعناصر الاضافية ٢ ٪ من كتلة الجسم وهى بوتاسيوم وصوديوم ونحاس وكبريت ومغنسيوم ومنجنيز وكلوريد حديد، ويود، وقد أثبت العلماء أن الماء المركب الهام فى الخلية الحيوية ويمثل ٦٧ ٪ من كتلة الجسم وصدق الله تعالى فى قوله: ﴿وجعلنا من الماء كل شئ حى﴾ الأنبياء ٣٠.

رابعاً: تركيب الإنسان من الطين ومن النفخة العلوية خلقت التوازن من خصائص العناصر الطينية والعناصر العلوية وهى الأفق الأعلى الذى يطلب إليه أن يبلغه وهو الكمال البشرى المقدر له، فليس مطلوباً منه أن يتخلى عن طبيعة أحد عنصريه، والذى حاول أن يعطل طاقاته الجسدية الحيوية هو الذى يحاول أن يعطل طاقاته الروحية الطليقة.

خامساً: أقام الإسلام شريعته للإنسان على أساس تكوينه وأقام له عليها نظاماً بشرياً لا تدمر فيه طاقة واحدة من طاقات البشر وإنما قصارى هذا النظام أن يحقق التوازن بين هذه الطاقات لتعمل جميعها فى غير طغيان ولا ضعف.

ثانياً: خداع النفس

كثيراً ما تخدع الانسان نفسه (الامارة بالسوء) فتصور له الأوهام حقائق يخوض فى ضلالاتها حتى يفيق يوماً على ما كان يجهل. ومن ذلك: خداع النفس للمرء بطول الأجل وهو بهذا ينسى الموت وتصرفه الدنيا عن التفكير فى آخرته فيقبل على الدنيا بشراهة واندفاع وغرور تجذبه الشهوات وتعميه اللذات ولو وضع نصب عينيه قوله تعالى لنبيه الكريم (ﷺ): ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ وقوله تعالى: ﴿ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المأب﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام: (كفى بالموت واعظا) وقول محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: (انما الدنيا سوق خرج منها الناس بما يضرهم وما ينفعهم) - لكان خيراً له. وكم من قوم غرهم منها مثل الذى أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا منها ملومين محسورين بلا عدة للآخرة ومن خداع النفس خداعها للانسان بالجاه والنفوذ وحب ذلك من المهلكات لانه يدفع المرء إلى أمرين متناقضين تماماً فهو يبدو صغيراً إلى من يريد أن يحقق له مكانة رفيعة أو موقعاً كبيراً فيتملقه فى ذلة وفى نفس الوقت يتكبر، ويتعالى على من دونه، وربما كان خيراً منه عند الله.. وعلى هذا المتكبر أن يذكر قول الله العلى القدير: ﴿ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق﴾.

وقوله (ﷺ) : (يحشر المتكبرون يوم القيامة فى صورة الذر يطؤهم الناس لهوانهم على الله عز وجل) . والذر هو ما لا يرى من غبار الأرض ومن خداع النفس: خداعها للانسان بالمال والثراء فحين ينال المرء من المال الكثير يبخل على الله أولاً فلا يؤدى ذكاته ويبخل على الناس ثانياً فلا يعطى الحق المعلوم للسائل والمحروم. ولو تذكر قوله تعالى: ﴿.. الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾. لكان من المفلحين. وقول الامام على رضى الله عنه: (ما جمعت من المال فوق قوتك فإنما أنت خازن لغيرك) . ومن خداع النفس للمرء أن يغتر بعقله وعلمه فيظن أنه أذكى الناس وأعلمهم فيستصغر شأن الآخرين ويتباهى عليهم وقد كان هذا سبيل قارون إلى الهلاك حينما قال: (انما أوتيته على علم عندى) . ولا يكون العالم مدركاً نعمة العلم إلا إذا تواضع. وانظر إلى الامام الشعبى الفقيه المعروف حين سئل عن مسألة فقال: (لا علم لى بها) فقيل له: (الا تستحى؟) فقال: (ولم أستحى مما لم تستح منه الملائكة حين قالت: لا علم لنا إلا ما علمتنا) وبعد ذلك كله.. ما أكثر ما بقى من مواقف خداع النفس للانسان!! وقانا الله شره.

ثالثاً: الإصلاح بين المتخاصمين

ماذا جرى للبشر فى هذا الزمان حيث يشتد فيه الصراع المحموم والشرس بين الانسان وأخيه الانسان من أجل مطامع الحياة ومغرياتها الزائفة ومتاعها القليل لو كانوا يعلمون؟! وتكثر الخصومات وتزداد الخلافات وتشتعل العداوات بين الناس وعلى مختلف الفئات والمستويات، أليست هذه ظاهرة بشعة لا ترضى رب العالمين! حيث تختل الموازين وتختفى القيم وتداس بالأقدام فى غمرة هذا التوحش الانسانى حين ينسى الناس أو يتناسون أن العدل الألهى موجود فوق رءوس البشر وأن الله تعالى لا يترك المتجاوز لحدوده بل أن هناك قوانين إلهية دقيقة ورادعة تحكم الخلق جميعا، وداراً أخرة يجازى فيها المحسن على أحسانه والمسئ على اساءته. فمن يعمل مثقال ذرة خير يره ومن يعمل

مثقال ذرة شراً يره، لقد اهتم التشريع الاسلامى الحنيف بهذه الظاهرة المؤسفة وأقر لعلاجها أمرين للفصل والاصلاح بين بنى الإنسان والتوفيق بينهم.

- أحدهما: القضاء العادل. والقضاء فى الاسلام ليس مجرد أحكام وعقوبات وانما هو أيضاً دعوة إلى التصالح والسلام الاجتماعى فعلى سبيل المثال يقول تعالى بشأن الزوجين المتخاصمين فى خطاب إلى القضاء بقوله تعالى: **﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها أن يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما﴾**.

- ثانيهما: لا صلاح ذات البين بين الناس ويقوم بذلك فئة المتطوعين للخير لأداء هذه المهمة والذين أشار إليهم القرآن الكريم بقوله **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر..﴾** وهم الذين يحاولون أن يعم الأمن الاجتماعى ويسود الود والمحبة بين البشر وحتى تختفى العداوات التى تؤدى إلى سوء العواقب. وأى خير أعظم من ذلك يحقق به المصلحون أمر الله كما أشار القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ إلى ذلك، وأن هؤلاء لهم فضل كبير ومنزلة عظمى عند الله تعالى، فهؤلاء المصلحون جعلهم الله وقاية لابناء أوطانهم من الشر والهلاك. ومن الصور الطيبة فى هذا الشأن ما تقوم به المجالس العرفية بين الأهالى فى حل المنازعات المختلفة ليسود الحب والوئام بين المتنازعين.

رابعاً: مركز الضمير فى الفص الأمامى!!

المخ.. معجزة إلهية تميز الإنسان عن الحيوان

المخ والجهاز العصبى هو أهم عضو منحه الله سبحانه وتعالى للإنسان ليكون خليفته فى الأرض، وليعمرها، وهذا المخ هبة من عند الله سبحانه، هو الذى يفرق الإنسان عن الحيوان فهو موضع الضمير أو القاضى داخل الإنسان.

ومن شدة تعقيد التركيب التشريحى للمخ فما زال العلماء والأطباء حيارى تجاه تلك المعجزة العظيمة فى خلقها وتكوينها، واحتاروا أكثر فى وظيفة هذا المخ

حتى عصرنا هذا رغم التقدم العلمى الهائل فى وسائل التشخيص أو وسائل إظهار المرض أو العلاج.

ويتكون المخ من ملايين الخلايا والخيوط العصبية الممتدة منها لتغذى جميع أجزاء الجسم وتنقل الإشارات من هذه الأعضاء إلى المخ وبالعكس، ويكفى أن تغطى الخلايا وأطوالها وخيوطها لمخ إنسان واحد الكرة الأرضية.

أن أى عصب من الأعصاب سواء فى المخ أو الحبل الشوكى أو الاعصاب الطرفية يحمل إشارات عصبية أكثر مما يحمله كابل من الإسلاك قطره أكثر من كيلو متر، كل ذلك يدل على معجزة الخالق سبحانه وتعالى فى تركيب المخ.

أما إذا تطرقنا إلى أسمى وظيفة من وظائف المخ وهى الضمير الذى ينهى الإنسان عن الفواحش وعن الأخطاء ويأمره بعمل الخير والنشاط والحيوية والحب ورعاية من حوله فكل ذلك متمركز فى المخ خاصة فى فصه الأمامى فلو تخيلنا أن مخ الإنسان أصيب فى هذا الجزء بمرض مثل ورم بالمخ أو جلطة أو اصابة أو حادثة يتحول الانسان إلى شخص لا يدرك شيئاً ولا يعرف أهله أو ذويه ويهمل عمله وبيته وأولاده وحتى نظافته الشخصية يهملها وقد يتبول ويتبرز فى مكان وجوده ويفقد التفاعل العاطفى أى لا يستجيب لما هو محزن أو ما هو مفرح ولا يهتم ولا يعتنى حتى بأولاده أو بأسرته أو بنفسه، وقد يتفوه بألفاظ خارجة لا تليق به ولا بمستواه الذى يتناسب معه، وقد يفهم العامة أن هذا الشخص أصبح كريهاً ولكن فى الحقيقة أصبح مريضاً لأن شخصيته تغيرت إلى النقيض.

ويقوم المخ أيضاً بوظيفة أخرى لا توجد إلا فى الانسان وهى الكلام الذى هو من أعقد وأسمى الوظائف ويتفرد بها الانسان فقط وقد ينظر الانسان العادى إلى الكلام على أنه شئ سهل ولكن فى الحقيقة فان الكلام له شقان الأول: فهم الكلام، والآخر هو إخراج الكلام فنحن نفهم إما عن طريق السمع أو عن طريق

النظر للكلام المكتوب ثم يفهم المخ هذا الكلام المقروء أو المسموع، وفهم الكلام هو أعقد جزء فى عملية الكلام.

ثم يرسل المخ إشاراته لكى يعبر الانسان عن هذا الكلام المفهوم إما بواسطة الكلام، أى التحدث باللسان والشفتين أو بالكتابة عن طريق اليد.

خامساً: القرآن والسنة الأفضل لعلاج الأمراض النفسية والعصبية

برغم أن هناك رموزاً علمية فى الطب النفسى على مدار التاريخ إلا أن كثيراً من الأطباء توصلوا للطرق الصحيحة للعلاج بالطب الإسلامى على أسس علمية سليمة من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة. فالقلق النفسى يكون بسبب وقوع الإنسان بين رغبة النفس وخوف العقل، ومع تقدم الانسان ورفاهيته زاد قلقه واضطرابه النفسى وضعف إيمانه لذلك يخاطبه الله بقوله: ﴿والذين أمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾. فالإيمان بالله واليوم الآخر شفاء للنفس البشرية.

إن بتقدم العلوم والتكنولوجيا زادت رفاهية الانسان ولكن لم تزده سعادة وطمأنينة بل زاد قلقاً ويأساً وأمراضاً نفسية وعصبية، ذلك لأنه لا شفاء ولا سعادة إلا بالإيمان بالله تعالى وقال: إن عالم النفس الأمريكى وليم جيجى أكد أن أعظم علاج للقلق النفسى هو الايمان. وتقول الآية الكريمة: ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾.

فمن يتعرض للغضب تحدث فى جسده تغيرات مدمرة له تسبب الضغط المرتفع والسكر، والاضطرابات بكل الأعضاء وبالتالى التعرض للأمراض الخطيرة ونجد علاج الغضب فى أكثر من صورة فيقول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ناصحاً أحد الصحابة: (لا تغضب)، فإذا غضب الإنسان وهو واقف فعليه أن يجلس وإذا كان جالساً فليقف وإذا كان يتكلم فليتوقف عن الكلام، لأن الغضب قوة قاهرة تفقد الإنسان السيطرة على سلوكه وصحته وقال عليه الصلاة والسلام (ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب).

وقد اتجه الأطباء لعلاج الغضب والتوتر العصبى بالأدوية المهدئة أو المسكنة، وهى ذات مفعول مؤقت ولكن الاستمرار فى تناولها يأتى بمشكلات أكبر من إدمان أو خلل ببعض أجهزة الجسم، ويتمثل العلاج الاسلامى بالاسترخاء النفسى إذ يمارس المسلمون هذا العلاج بالصلاة خمس مرات يومياً.

أن الوضوء له تأثير علاجى للأمراض النفسية فهو يزيل الغضب كما فى قول محمد عليه الصلاة والسلام: (إذا غضب أحدكم فليتوضأ) لأن الغضب يقلل العمر الافتراضى للانسان حسب الابحاث العلمية بينما الضحكة الواحدة تزيده ٥، دقائق،، ودلت الدراسات العلمية أن الاغتسال برزاز الماء مع سقوط الضوء يساعد على توليد أيونات سالبة الشحنة من جزئيات الماء مما يسبب استرخاء للجسد. وكذلك الحال بالنسبة للصلاة التى لها ٥ فوائد هى: الاندماج فى المجتمع، وتنمية عاطفة حب الغير، وإزالة الكراهية، وتربية الروح على الانتماء، فهى شفاء للبشرية كلها فقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين أمنوا استعينوا بالصبر والصلاة، إن الله مع الصابرين﴾ فالمصلى تظهر عليه دائماً علامات الرضا، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾.

أن الصوم شفاء نفسى أيضاً فهو يمنع الشهوات ويربط العبد بربه، فلا ينزلق ولا تمرض نفسه ولا يتجه للمعاصى. كما أن الحج شفاء أيضا فيتعلم الانسان أنه فرد مكلف فى مجتمع كبير، ويتعلم التواضع وتحمل المشاق. كما أن الزكاة شفاء نفسى تخلص الإنسان من الأنانية وشرور حب الذات، أو الانطواء وتجعله إيجابياً محباً للآخرين فتستريح نفسه وروحه.

سادساً: العلاج العلمى من الحسد والإصابة بالعين

أن ظاهرة الحسد والاعتقاد فيه، هى ظاهرة انسانية شعبية ضاربة فى التاريخ، لا يمكن إنكارها، كما لا يمكن التسليم بها بلا قيد أو شرط حتى نقع فريسة الخوف منها، وتفسير ظاهرة الحسد بالإيحاء أو القابلية، باعتبار أنها خرافة على الإطلاق، هو تفسير متعجل وإن بدا علمياً. إن الإنسان يحقق توازن صحته

بالحفاظ على هارمونية وجوده الذاتى المتسقة مع هارمونية مجتمعه، وأيضاً مع هارمونية الكون، ثم إن أى إفساد أو خلخلة لهذه الهارمونية قد يترتب عليه ما يشبه النشاز حتى يستعيد الإنسان توازنه، وقد يكون الحسد الحقيقى - وليس توهمه - نتيجة لمثل هذا النشاز الذى ينطلق عادة من طاقة إنسان حاقد يطلق نغمته الشاردة لتقطع اتساق هارمونية آخر، يحدث ذلك من شرير بدائى حدسى، أو من مجنون مقتحم.

أن هذا الفرض يرتبط بشكل أو بآخر بما يسمونه فى علم الباراسيكولوجى «التحريك النفسى»، الذى يفترض أن ثمة طاقة يمكن أن تنطلق من الكائن البشرى لتحرك الأشياء دون أن تلمسها، وقد دلت تجارب كثيرة على أنه صحيح، فقد يكون الحسد من قبيل ذلك، وهذا لا يعنى أن كل إنسان قادر على الحسد كما أنه ليس كل إنسان قادر على التحريك النفسى، وبما إن المسألة - على فرض صحة هذا الزعم - هى تنشيز اللحن الذاتى البيولوجى الإيقاعى للمحسود، فإن الحل هو أن ينضم هذا اللحن كنغمة متسقة مع لحن أعظم، وهو لحن الكون الممتد، من هنا كان رد الحسد هو قوة التصدى لرفض النشاز، إما بجمال الصحة وقوة الشخصية، وإما بالانتماء والتناسق مع الجمال الكونى والتناسق المطلق فى رحاب الله سبحانه، وإما بالاثنين معاً، وهو ما يفسر أننا إذ نستعيذ بالله من شر حاسد إذا حسد، إنما ننضم بنغمتنا الذاتية المحدودة إلى لحن أكبر يتوه فيه النشاز المقتحم ويفسد مفعوله فلا يعود نشازاً ضاراً.

أن هذا ليس إلا فرضاً توصل إليه بعض الاطباء من ممارستهم مع المرضى الذى اشتكوا من أنهم مع حدة المرض أصبحوا يخافون على من حولهم أن يصلهم ما يضرهم منهم، (وليس بخوف من أن يحسدهم الآخرين) هؤلاء المرضى توقفوا عن هذا الشعور بالتداوى الذى يبدو أن نبط المخ القديم المرتبط بهذه الظواهر التى تبدو خارقة مع أنها بدائية شاذة. هذه الحالة شديدة الندرة وعلاجها هو الانتماء إلى ركن رحمة ربنا الأوسع، أما أغلب ما يسمى حسداً أو الخوف من الحسد فهو أقرب إلى المخاوف والوساوس والتخرصات.

ويعرف البعض الحسد بأنه شر من قوى الغيب التى تضر بالإنسان ولذلك طلب منا الحق سبحانه وتعالى أن نستعيذ به جل جلاله: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾.. وإن كان العلماء لا يعرفون شيئاً عن الحسد وتفسيره علمياً وينبه إلى أن الشئ كلما كان دقيقاً لا تراه العين كان أثره وفعله أكبر وأعنف ففى حالة الحسد يوجد شئ خفى يخرج من عين أو نفس الحاسد يستطيع أن يدخل الجسد ويفعل فيه أشياء كثيرة وكما قال الشيخ الشعراوى رحمه الله «ما الذى يدريك أن عين الحاسد تخرج منها أشعة أشد فتكاً من أشعة الليزر».

ان الممارس للطب النفسى يلاحظ أن معظم الحالات التى تتردد للعلاج لها مسار مرضى محدد وتسلسل منطقى واضح واستجابة معقولة للأدوية المتاحة رغم قصورها وإذا كان هناك نسبة من الأمراض النفسية ما زالت أسبابها الحقيقية غامضة كالحسد والسحر والجن لذا وجب علينا عدم إلقاء شكل الأمراض النفسية على هذه الغيبيات والسعى الدائم والأخذ بالاسباب الذى حث عليه صحيح الدين. كما تؤكد بساطة الاستعاذة من الجن والسحر والحسد كما علمنا رسول الله ﷺ بقراءة المعوذتين وآية الكرسى وباقى الادعية المأثورة من دعاء الصباح والمساء وتقوية العلاقة بين الانسان وربه فليس هناك ما يمنع من الجمع بين أخذ الدواء الذى يقرره الطبيب المتخصص وبين الدعاء وقراءة القرآن والرقية الشرعية التى علمنا إياها رسول الله ﷺ فكل هذا من أمر الله سبحانه وتعالى فالانسان جسد وروح ولا يمكن الفصل بينهما وللجسد ما يفيده وللروح ما يلائمها.

سابعاً: «السرحان» فى الصلاة

كيف نتغلب عليه؟

«السرحان» والتفكير فى أمور الدنيا أثناء الصلاة مشكلة يكاد لا ينجو منها أحد.. حتى أن البعض قد ينقطع عن الصلاة بسببها!! ولاشك أن التركيز فى الصلاة من أهم أركانها.. خاصة أن رسول الله ﷺ قال (ليس للإنسان من

صلاته إلا ما عقل منها وأول ما ينظر من عمل العبد - يوم القيامة - الصلاة.. فإن قبلت منه نظر فيما بقى من عمله وإن لم تقبل منه لا ينظر فى شئ من عمله).

بداية يجب ملاحظة أن المقصود بـ «السرحان فى الصلاة» ليس هو المذكور فى قوله تعالى فى الآيتين ٤، ٥ من سورة الماعون ﴿فويل للمصلين، الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ لأن الآية الكريمة تذكر «الساهون» عن صلاتهم وليس «فى» صلاتهم.. أى الذين لا يحرصون على صلواتهم ويهملون أداءها فى أوقاتها عمداً وبلا ندم إذا فاتتهم ولا يعملون بها بل لا يؤدونها إلا نفاقاً.. لقوله تعالى فى تكملة السورة «الذين هم يراءون - أى ينافقون - ويمنعون الماعون».. وإنما الذى نعنيه هو التفكير فى أمور الدنيا أثناء الصلاة. وفى أسباب هذا «السرحان» يقول ﷺ.. (إذا نودى للصلاة.. يحضر - الشيطان - بين المرء ونفسه يقول: أذكر، كذا، أذكر كذا.. لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى..).

ولعلاج مشكلة «السرحان فى الصلاة».. يجب تهيئة النفس قبل الصلاة بتخصيص دقيقة واحدة لتدبر عدة أمور وهى:

- استحضار هيبة الله تعالى.. بالتيقن من أنه سبحانه وتعالى ينظر إلينا أثناء الصلاة وإن الملائكة يحيطون بنا.. فليس كل ما لا يرى بالعين البشرية غير موجود، فنحن لا نرى جاذبية المغناطيس أو موجات التليفون المحمول. لكننا نرى آثارهما.. كذلك إذا أتقنا صلاتنا فسوف نرى أثرها فى نفوسنا وأرواحنا بل وأخلاقنا أيضاً..

- استثمار الوقت والجهد.. لأن هذه الدقائق سوف تستقطع من الوقت وهذا الجهد النفسى والمجهود الجسدى سوف يبذل.. فليس من الذكاء أن يضيع هباء أو يتحول إلى ذنوب!! فيجب عقد النية والتصميم على التركيز فى الصلاة ليتقبلها الله تعالى ولتظل هذه الدقائق هى الباقية لنا فى صحيفة حسناتنا.

إن كان سعينا فى الدنيا وهدفنا النهائى منها هو الفوز برضى الله تعالى الذى نصلى له.. فلا يصح وليس من الحكمة أن ننشغل عنه بأمور الدنيا - ومعناها من الدنو - وهى وسيلتنا لرضائه سبحانه الأعلى.

- الاستعاذة من الشيطان.. ولقد شكا رجل لرسول الله ﷺ فقال (أن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى يلبسها على،، فقال له ﷺ (.... فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه وأتفل - أى النفخ مع رزاز خفيف لا يرى ولا يحس - على يسارك ثلاثا.. قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى).. كذلك التسبيح بقول ،لا إله إلا الله محمد رسول الله).. وإقامة الصلاة.. تطرد الشطان.

وهناك عدة نقاط يجب مراعاتها أثناء الصلاة:

- استحضار القلب.. ثم استحضار القلب لأن الهدف من الصلاة ومن كل العبادات هو إصلاح القلب.. يقول ﷺ (ألا وأن فى الجسد مضغة - أى قطعة لحم - إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله.. ألا وهى القلب).

- أننا فى حديث مع الله.. فيجب ألا تؤدى الصلاة كمجرد مهمة.. فالله تعالى يقول (قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين.. فإذا قال: الحمد لله رب العالمين.. قال الله عز وجل: حمدنى عبدى.. وإذا قال الرحمن الرحيم.. قال الله عز وجل: اثنى على عبدى.. وإذا قال العبد: مالك يوم الدين.. قال الله: مجدنى عبدى وفوض إلى عبدى.. وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل.. فإذا قال: أهدنا الصراط المستقيم.. قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل).

- استحضار المعنى.. بإشراك العقل والقلب مع اللسان فى تدبر كل كلمة والإحساس بمعناها.

- الخشوع.. لقوله تعالى ﴿والذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ ويساعد عليه النظر إلى موضع السجود أو بين القدمين.

– عدم النظر إلى السماء.. فيقول عليه الصلاة والسلام (ما بال قوم يرفعون أبصارهم إلى السماء فى صلاتهم فاشتد قوله فى ذلك حتى قال: لينتهن أو لتخفطن أبصارهم).

– عدم الالتفات.. فقد قال صلى الله عليه وسلم عن الالتفات أنه (الاختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد).. (فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته ما لم يلتفت).. (فإذا التفت انصرف عنه).

– عدم التثاؤب.. بقبض الفكين على بعضهما جيداً أو بوضع اليد على الفم فإن رسول الله ﷺ يقول.. (التثاؤب فى الصلاة من الشيطان.. فإذا تثاءب أحدكم فيلكظم ما استطاع).

– عدم التشكك من أى هاجس.. فإذا تشكك فى شئ كصحة وضوئه أو عدد الركعات أو .. أو .. استعاذ بالله من الشيطان وأكمل صلاته.

– عدم القراءة سرا وأيضاً عدم رفع الصوت عاليا.. فيجب إن يسمع نفسه فقط.. لقوله تعالى فى سورة الاسراء الآية ١١٠ ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾.

- إتقان الصلاة بالتأنى فى أدائها وأعطاء كل ركن حقه.

– زيادة عدد التسبيحات فى الركوع والسجود. والدعاء عند السجود بتركيز فى الرجاء من الله تعالى بإجابته ويفضل الدعاء فى الصلاة بالأدعية المأثورة.

– عندما تذكر ما ننسى أثناء الصلاة يجب عدم الالتفات إليها لأن الله تعالى أقدر على تذكيرنا إذا دعوناه ذلك بعد الصلاة.

– ولتذكر عدد الركعات.. يمكن عند قراءة التشهد فى نهاية كل ركعة تحريك أحدى الأصابع حركة خفيفة لتذكر إنها الركعة الأولى مثلاً ثم تحريك الإصبع التالية فى الركعة الثانية.. وهكذا.

لا تيأس!! ولا حرج من تكرار ما سبق أكثر من مرة والاستمرار فى دفع الشيطان فلذلك أجره وهذا من الجهاد الذى سماه الصحابة بالجهاد الأكبر بينما سموا الجهاد فى سبيل الله بالجهاد الأصغر. ويجب عدم اليأس والاستسلام للهزيمة بترك الصلاة والانقطاع عنها بحجة إنها تحملنا ذنوبا بدلا من الحسنات.. فهى حيلة أخرى من حيل الشيطان لتحقيق هدفه بأبعادنا عن الصلاة.. فمن لا تقبل صلاته لا تقبل أعماله كما جاء فى الحديث الشريف فما بالنا بمن لا يصلى أصلاً؟!! ويسرى عنا إن بعض كبار الصحابة أنفسهم كانوا ينشغلون فى بعض الأحيان بأمور الدنيا وكان عليه الصلاة والسلام يقول (إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسى أحدكم فليسجد سجدتين) أى سجدتى السهو.. ولا يسجدهما من أنشغل بخواطر.. وهى فقط لمن نسى أحد الأركان كالركوع أو التشهد الأول.. أو عدد الركعات.. وعليه أن يحسب على أساس العدد الأقل.. فمثلاً إذا شك هل صلى ركعتين أم ثلاثة يعتبرهم اثنين فقط ويكمل صلاته حتى يتمها ثم يسجد قبل التسليم أو بعده سجدتين ويقول (سبحان الذى لا ينام ولا ينسى سبحانه الذى لا يضل ولا يسهو) ومما يجبر «السرحان فى الصلاة» ختم الصلاة.. وهى من تمام الصلاة كما علمنا الرسول ﷺ وهى تشتمل على..

الاستغفار ثلاثة مرات. «يا أرحم الراحمين اللهم أرحمنى وأغفر لى ٣» مرات.. آية الكرسى.. التسبيح لقوله ﷺ.. (من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين.. تلك تسع وتسعون.. ثم قال تمام المئة.. لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير.. غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر).. الدعاء بعد الصلاة.. فقد سئل رسول الله ﷺ أى الدعاء أسمع؟ قال (جوف الليل ودبر الصلوات المكتوبة) ثم قراءة الفاتحة والاخلاص والفلق والناس.

ومن أفضل طرق القضاء على «السرحان» فى الصلاة مع أتباع الخطوات السابقة هو صلاة الجماعة.

ثامناً: الغذاء والصحة فى القرآن الكريم

على الرغم من أن احدث دراسة علمية متخصصة أثبتت أن هناك علاقة وثيقة بين الغذاء والنمو العقلى، وبينه وبين الأمراض الذهانية كالفصام والكآبة والقلق والهلع وغيرها، وهى الدراسة التى أجرتها جمعية مايند للصحة العقلية ونشر عنها مؤخراً، إلا أن القرآن الكريم ذكر حقائق أكثر تنوعاً وعمقاً من نتائج هذه الدراسة وغيرها من الدراسات، فيكفى أن نعلم أن القرآن الكريم نبه إلى تفاوت القيمة الغذائية وزيادتها فى بعض الأطعمة، وتميز بعض البلدان بأنواع معينة من الطعام، كما فى قوله تعالى:

﴿**وإذا قلتم يا موسى لن تصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير، اهبطوا مصر فأن لكم ما سألتم**﴾ – البقرة ٦١ وقوله تعالى ﴿**اهبطوا مصر فأن لكم ما سألتم**﴾ البقرة ٦١ – يحذرنا من الأسراف فى المأكل والمشرب للوقاية من أمراض السمنة وارتباطها الوثيق بأمراض القلب والمفاصل والبول السكرى، يقول تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين﴾ – الأعراف ٣١ – كما يشير القرآن إلى أهمية أغذية معينة فى أوقات معينة (تعرف بالأغذية التعويضية) فالنفساء تحتاج إلى السكريات سهلة الهضم والامتصاص، والتى تصب سكرياتها فى الدم مباشرة، كتلك الموجودين فى الرطب (الناضج الحلو من ثمار النخيل)، يقول تعالى: ﴿**وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً. فكلى وأشربى وقرى عينا**﴾ – مريم ٢٥، ٢٦– والمسافر يحتاج إلى الأغذية الغنية بالكالسيوم والفسفور والمولدة للطاقة التى تجعله يقاوم وعثاء السفر والاجهاد: وقد ربط القرآن الكريم بين السفر وصيد البحر، فقال تعالى: ﴿أحل لكم صيد البحر وطعاماً متعاً لكم وللسيارة﴾ – المائدة ٩٦ – (السيارة أى المسافرون)، وقال تعالى: ﴿**فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. قال أرإيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت**﴾ – الكهف ٦٢، ٦٣ – كما يشير القرآن إلى ارتباط الطعام والشراب بفترة صلاحية معينة: يقول تعالى:

﴿فأنظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾ – البقرة ٢٥٩ –، ويقول تعالى عن انهار الجنة: ﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ – محمد ١٥ – كما ينبه إلى تفاوت الجودة بين الأطعمة بقوله تعالى: ﴿فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه﴾ – الكهف ١٩ – ويؤكد القيمة الغذائية المتكاملة للبن خصوصا عند الرضع والصغار: يقول تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ – البقرة ٢٣٣ – ومن الغذاء ما يستخدم كدواء: مثل عسل النحل، فيقول تعالى: ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾ – النحل ٦٩ –، ولالتهابات وتقرحات الجلد يجدى بعض أنواع نبات اليقطين (القرع)، يقول تعالى: ﴿وانبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ – الصافات ١٤٦ – ولبعض الأمراض الجلدية المستعصية تجدى السباحة فى حمامات المياة المعدنية وكذا الشرب منها، يقول تعالى لأيوب (عليه السلام): ﴿أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ – ص ٤٢ – ولاستعادة التوازن الخلوى تجدى ثمار الزيتون، يقول تعالى: ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾ – المؤمنون ٢٠ – النهى عن تناول الضار من الأغذية: لما تحتويه من مكونات أو ميكروبات أو طفيليات ضارة، يقول تعالى ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ – البقرة ١٧٣ – والأمر بأكل الثمار الناضجة (الفاكهة) لغناها بالفيتامينات والمعادن: يقول تعالى: ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر﴾ – الأنعام ١٤١ – (إذا اثمر أى إذا نضج) وخلو بعض الأطعمة من أى قيمة غذائية: يقول تعالى: ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع. لا يسمن ولا يغنى من جوع﴾ – الغاشية ٧، ٨ – (الضريع: طعام كالشوك) وامكانية تخزين بعض الأطعمة: يقول تعالى على لسان عيسى (عليه السلام): ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ – آل عمران ٤٩ – وعلى لسان يوسف (عليه السلام): ﴿فما حصدتم فذروه فى سنبله﴾ – يوسف ٤٧ – والاشارة القرآنية المعجزة إلى الإرهاصات الأولى للصناعات الزراعية: مثل عصر العنب والزيتون يقول تعالى: ﴿ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ – يوسف ٤٩ –.

تاسعاً: الإسلام يدعو أتباعه للعمل وليس الرهبنة!

ونحن نحتفل بعيد العمل والعمال فى أول شهر مايو من كل عام يذهب البعض إلى اتهام الإسلام بأنه يدعو اتباعه إلى الكسل والتكاسل ويحثهم على الزهد فى الحياة والتفرغ للعبادة، وفى محاولة لاثبات صحة مزاعمهم يستدلون بالآية القرآنية الكريمة: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.. فما مدى صحة هذا الاتهام؟ وما درجة سلامة هذا الاستدلال؟.

أن الإسلام يدعو إلى العمل والنماء وليس كما يزعمون دين الرهبنة الذى يطلب من الإنسان أن يعيش كما يعيش الراهب فى صومعته أو كما يعيش المنقطع فى الجبل لا يعمل ولا يزرع ولا يحصد ولا يفكر ولا يؤلف ولا يوجه ولا يشارك فى أى نشاط بحجة أنه متفرغ للعبادة وأداء حق الشكر لله تعالى على ما أنعم، وأنه مؤثر الزهد فى الحياة واحتقار الدنيا وزينتها. وذلك لسبب بديهى هو أن هذا هروب من الرسالة التى خلق لها وتخلص من الأمانة التى هيئ لحملها وغفلة عن قاعدة أساسية قررها الإسلام وهى أنه يعتبر كل عمل يقوم به المرء للاصلاح والتعمير والتثمير عبادة لا تقل فى أهميتها عن الصلاة والصيام والحج بل ربما تفضلها، وأن الله تعالى حين قال: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ لم يحصر نوع العبادة بالنسبة للإنس فى أداء الفرائض والنوافل الروحية وانما بين فى غير هذه الآية أن كل عمل صالح هو عبادة مادامت النية فيه حسنة. والقصد سليماً مشروعاً ومادام المرء مؤدياً به حقا عليه لنفسه أو لمجتمعه أو لأمته أو للانسانية عامة وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿.. من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً. ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة﴾ وبذلك يتبين لنا أن الاسلام يريد تهيئة النوع الإنسانى للعمل والسعى وتعمير الأرض والانتفاع بما سخره الله فيه، وبذلك يكون قد أمد الأرض بالموارد البشرية باعتبارها موارد عامة مفكرة مقبلة على السعى بفطرتها لم يحل الدين أو الشريعة بينها وبين هذا السعى بل جعلاه دافعاً وحافزاً للعمل والانتاج.

عاشراً: الحرف اليدوية.. مهن الأنبياء

المتصفح لحياة الأنبياء – عليهم السلام – يلحظ أنهم جميعاً كانوا يعملون من كد أيديهم، والله عز وجل – قادر على كفايتهم هذا التعب.. لكنها رسالة دائمة إلينا بأن المهن اليدوية البسيطة هى أساس أى مجتمع.. ورأسماله الحقيقى.. مع اختلاف مسمياتها ومضمونها..

إن أول مهنة كان يقوم بها كل الأنبياء إلى جانب أعمال أخرى تخصصوا فيها – هى مهنة «راعى الغنم» يقول النبى ﷺ: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة».. أى كان يرعاها بمقابل، وهذه المهنة ثابتة لسائر الأنبياء عليهم السلام، لأن فيها دروساً وفوائد كثيرة، منها الحلم والصبر والتواضع، والرعاية وتعلم أيضاً النظر فى ملكوت السماوات والأرض.. ويشير إلى أن هذه المهنة كانت أساسية لكل نبى.. إلى جانب مهن أخرى عرف بها.. فآدم عليه السلام، كان زارعاً، ونوح – عليه السلام – كان نجاراً، وهو أول من صنع الفلك، قال تعالى: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾، وسيدنا إدريس ـ عليه السلام –كان خياطاً.. وإبراهيم عليه السلاك كان بزازا.. أى تاجر أقمشة.. وإسماعيل كان قناصاً.. أى صياداً، أما اسحاق ويعقوب وشعيب وموسى. فلم يعرفوا بمهنة غير رعاية الغنم، أما سيدنا إلياس فكان نساجاً.. أى ينسج الأقمشة، وداود كان يصنع السلاح والدروع وآلات الحدادة، يقول تعالى: ﴿ولقد أتينا داود منا فضلاً، يا جبال أوبى معه والطير وآلنا له الحديد، أن أعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا﴾. فداود عليه السلام، آلان الله له الحديد، فكان لا يحتاج أن يدخله ناراً ولا يضربه بمطرقة، وكان يفتله بيده مثل الخيوط وكان أول من صنع السابغات (أى الدروع).. وعن مهنة سيدنا سليمان عليه السلام إنه كان يصنع (المكاتل) أى سلال الخوص، ومع ذلك كان يشتغل فى المهن والحرف المتعلقة بالحدادة، ثم من الله عليه بمباشرة أعمال أخرى، لا يتحملها البشر، وان كان استفاد منها لخدمة البشر، فمنها أنه كان يعمل نحاساً يقول تعالى: ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر

ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر﴾.. والمراد بالقطر النحاس، فقد أسال الله له النحاس، فكان كالمطر أو الماء.. أما سيد الخلق وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ فكان مع رعيه الغنم يتاجر فى مال عمه وهو صغير ثم بعدها تاجر في مال السيدة خديجة، رضى الله عنها.

الحادى عشر: الإسلام والمساواة بين الرجال والنساء

قضى الإسلام على مبدأ التفرقة بين الرجل والمرأة فى القيمة الإنسانية المشتركة، كما قضى أيضاً على مبدأ التفرقة بينهما أمام القانون، وفى الحقوق العامة، حيث شرع الإسلام المساواة بينهما، فيما هو من خصائص الإنسانية فى الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض**﴾ «آل عمران ١٩٥».. وقوله تعالى: ﴿**للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن**﴾ «النساء ٣٢».. وقال تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم**﴾ «الإسراء ٧٠» فالتكريم شمل الرجل والمرأة معاً.

وقد أباح الإسلام للمرأة التعليم بمختلف أنواعه ومراحله، بل جعله فريضة عليها، لقوله – ﷺ – «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

وأباح الإسلام للمرأة أن تضطلع بالوظائف، وأن تزاول أى عمل، ولو كان خارج منزلها، مادامت تؤديه فى وقار وحشمة بعيداً عن مظان الفتنة، ومادام لا يؤدى إلى ضرر خلقى أو اجتماعى، ولا يعوقها عن أداء واجباتها نحو زوجها وبيتها وأولادها.

وأباح الإسلام كذلك للمرأة فى سبيل القيام بهذه الأعمال والوظائف التى توكل إليها، الاختلاط بالرجال فى الحياة العامة.

ويبيح لها أيضاً إدارة أموالها، والإشراف على مختلف شئونها المالية.. وقد ساوى الإسلام كذلك بين الرجل والمرأة أمام القانون، وفى جميع الحقوق المدنية، سواء فى ذلك المرأة المتزوجة، أو غير المتزوجة.

فالزواج فى الإسلام يختلف عن الزواج فى معظم أمم الغرب، حيث إنه لا يفقد المرأة أسمها ولا شخصيتها المدنية، ولا أهليتها فى التعاقد، ولا حقها فى التملك، بل تظل المرأة المسلمة بعد زواجها محتفظة باسمها واسم أسرتها، وبكامل حقوقها المدنية، وبأهليتها فى عمل الالتزامات، وإجراء مختلف العقود من بيع وشراء ورهن وهبة ووصية.. إلخ. وأن تحتفظ بحقها فى التملك تملكاً مستقلاً عن غيرها، ولا يجوز للزوج أن يأخذ شيئاً من مالها، سواء كان قليلاً أو كثيراً، بغير رضاها، وعن طيب نفس منها.

هذا ولم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة، إلا حيث تدعو إلى هذه التفرقة مراعاة طبيعة كل من الجنسين، وما يصلح له، وكفالة المصلحة العامة، ومصلحة الأسرة، ومصلحة المرأة نفسها.

ونجد موقف الإسلام واضحاً فى حالة انفصال الزوجين بالطلاق، ففى هذه الحالة، يتحمل الزوج وحده طبقاً للشرع جميع الأعباء الاقتصادية، فعليه مؤخر صداق زوجته، والإنفاق عليها من مأكل ومشرب وملبس ومسكن مادامت فى أشهر العدة، وعليه أيضاً نفقه أولاده وأجور حضانتهم ورضاعتهم فى دور الحضانة، وعليه أيضاً نفقات تربيتهم بعد ذلك، ولا يكلف المرأة أى عبء اقتصادى فى شئون حياتها.

وبذلك نرى أن الإسلام، وضع المرأة فى أعلى منزلة من قبل الزواج، وبعده.

وقد أعطى الإسلام الرجال الحق فى القوامة على الأسرة، وبنى ذلك على سببين رئيسيين: أولهما أن الرجل هو المكلف بالإنفاق على الأسرة، ولا يستقيم مع العدالة فى شئ أن يكلف فرد بالإنفاق على هيئة ما، دون أن تكون له القوامة عليها، والإشراف على شئونها. والثانى هو أن المرأة مرهفة العاطفة قوية الانفعال، وأن ناحية الوجدان لديها تسيطر سيطرة كبيرة على مختلف نواحى حياتها الأسرية، مما يتيح لها القيام بوظيفتها الأساسية وهى الأمومة والحضانة

على خير وجه، على حين أن الرجل لا يندفع فى الغالب مع عواطفه ووجدانه اندفاع المرأة، بل تغلب عليه ناحية الإدراك والتفكير، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾** «النساء ٣٤». ولنا عودة لبحث موضوع القوامة فى الفصل الرابع.

الفصل الثالث
انه الإسلام

أولاً: الإبداع فى الإسلام

توهج الإسلام بحب الحياة فاعترف بمتاعها ومتعتها.. أقر طيوبها وزينتها.. أوجب طهارة الجسم كالروح فلا انطوائية ولا زهو.. زهادة اختيار وأسلوب شخصية.. الإسلام أنيق يحب الجمال والزينة والنظافة.. زكى الطيب والخضاب وأباح التزين، وأتاح المتعة فى غير حرام.. أوجب الوضوء والاغتسال فكان نظاماً جامعاً للدين والدنيا.. ويفرض هذا نصاً وطقساً ولكن بدون اسراف مما احتوته فى عهد العباسيين القصور «الباذخة»، فلم يرتفع المأمون بكنوزه إلى أعتاب «عمر بن الخطاب» بجلبابه البسيط المتواضع.

إن الإسلام حين يقول: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ يقرن هذا بقوله فى تمام الآية ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾.

اعترف الإسلام فى سماحة وذكاء وعمق احساس بالأديان الأخرى مما يقفل الباب أمام الردة عنه.. إذ فيم الرجوع؟.. وإلى أين؟ إلى المسيحية؟.

أنه يعترف بها فى محبة..

﴿.. ولتجدن أقربهم مودة للذين أمنوا، الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾.

فيم الرجوع؟ إلى «اليهودية»؟ إنه يعترف بها فى صورتها الأولى.

إن الاعتراف بالأديان الأخرى، إضافة كبيرة للاسلام ينفرد بها، ونبعة سلام تحفظ عليه بشره وقوته وسط الظروف كلها، وهى دليل قوة شخصيته ووثوق.. ولعل هذا سر تمسك المسلم تمسكاً حميما بالإسلام حتى ليستحيل تحوله.. وهو سر من أسرار قوته.. قوة جعلته يقوى على حرب لم يواجهها، دين آخر..

وإذا كان الإيمان يمثله عند اليونان: «الرواقية» ويمثله عند المسيحيين «الصلب» رمز التحمل عندهم حتى النهاية، فإن الايمان عند المسلمين صبر وصلاة.. وتكامل نفسي.. ذلك التكامل الذى يجب أن يكون هدف التربية.

إن «التوحيد» الإسلامى، كلما ارتفعت على لغو الكلام وعقم الجدل، وأترعت بسلام وطمأنينة هى حكمة قلب حقق عمليا معنى التوحيد، ومعانى الرحمة والبناء وعز «الاتقان» ونعيم البر بالحرفة، وأبهة الخلق المتطلق والمطلق وصمت الخاشع المستمع، وهناءة المستمرئ السعيد..

الإيمان فى الإسلام، هو ما استقر فى القلب وصدقه العمل، فلا يقول قائل (لا حول ولا قوة إلا بالله) ثم يخاف من انسان حاكماً أو محكوماً..

لا يقول ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، ثم يتخذ من دونه أربابا..

من هنا يكون الإسلام كرامة واعتدادا وامتدادا.. ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾.

يقول «كارليل» فى كتابه (الأبطال): (لو لم يكن محمد فيه جانب صدق، لما استطاع دينه أن يعطى هذه الحضارة كلها).

أقول ليس فى الإسلام «الصراع» الذى يقف وراء الدراما اليونانية.. حتى القدر عند اليونان يقابل: الإنسان.. فالقدر والإنسان يتصارعان.. أما الإسلام فإن آيته: ﴿قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين﴾ (سورة الأنعام الآية ١٦٢).

إن التوحيد سر البطولة فى الإسلام، فالقول (لا غالب إلا الله) ليس تميمة ولكن عقيدة فيها سمو على الأشياء، وعلو على الصفات، يصفه العابدون ما يصفون ثم يظل أكبر (ليس كمثله شئ) حتى كلمة (عبد) فى الاسلام منتهى الحرية، لأن (عبد الله) ينتفى معها أن يكون عبد غيره ممن خلق من عبيده..

الإسلام حضارة بما فيه من توجيه لروائع الخلق ﴿أو لم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله﴾.

هذه الكلمات مادة لحياة المسلم فى العلم والفن والدين يصوغ منها بمختلف المواهب صوراً شتى.. أنه اتحاد بالكون.

استماع إلى المعزوفة الكبرى وينفتح القلب ويشرب النغم.

وتتوهج الروح إذ تلمسها الشرارة المقدسة ويبصر الإنسان بعد أن يرى.

الإسلام حضارة ارتفعت على لغو الكلام، الإسلام حضارة، يوم دعا إلى الجميل فى العمل والقول.. إلى الفن بألوانه، الإسلام حضارة بعناقه مع الحياة فى ود موصول يطبع فنونه حتى غدا لها طابعاً.

يقول «ديماند» فى كتابه «الفنون الإسلامية»: (يمتاز الفن الإسلامى بتنوع عظيم يشمل نواحيه واشكاله وصياغاته وزخرفته، وهذا النوع من النبوغ بلغ حدا يصعب معه أن نجد فيه تحفتين متماثلتين.. ومع ذلك يمتاز بوحدته).

مرة أخرى أسجل كلمة «كارليل»: (لو لم يكن محمد فيه صدق، لما استطاع دينه أن يعطى هذه الحضارة كلها).

الاسلام بهذه الأبعاد كلها، فى ذروتها الرفيعة المبدعة، حضارة وثقافة وأسلوب رسالة وفن، انبثق منه وعلى هداه: عمارة ونقشا ورسماً وخطا مما ترجمه فى تميز واقتدار: الفن الإسلامى.. وهو موضوع كبير.

لقد وقعت عمارة أوروبا وفنونها فى القرون الوسطى تحت تأثيرات كثيرة واضحة فيها. ومهما اختلفت الآراء فى الحضارة الإسلامية، أو اصالتها، فمن المؤكد الذى يرتفع على المكابرة أنها كانت الشعاع الذى بدد ظلمات أوروبا فى تلك الحقبة، ففتحت عينها على معالم جديدة للحياة الخصبة، بمجد العلم ونور الفن وآيات المدنية، فنقلت عن المسلمين.. نقلت عن العربية وليس اليونانية أو غيرها من اللغات..

إن ارنست رينان أعدى الكتاب للأمة الإسلامية يقول: (ما دخلت مسجداً قط إلا تملكني انفعال شديد لو أفصحت عنه، نوع جديد من الأسف على أنني لم أكن مسلماً).

قال عن الإسلام جاحدوه: إنه نقل عن اليونان.. ونسوا أن اليونان نقلت عن مصر الكثير والكثير.. على أن الإسلام لم يكتف بالنقل بل اضاف كثيراً.. يكفي المسلمين أنهم وفروا على الحضارة الأوروبية والحضارة الحديثة اليوم زمناً طويلاً يعد بعشرات القرون.. لقد لبثت في طور التخرج والنقل حين أخذت عن المسلمين أكثر مما استغرقه المسلمون في النقل عن اليونان التي نقلت عن مصر كما أشرت..

على أن الحضارة الانسانية موجات، ومن الأوروبيين منصفون يقرون هذا، فالكاتبة الألمانية سيجريد هونكة في كتابها «شمس الله على الغرب»: (لم يعد سراً أن مصر هي الوطن الذي بزغ فيه فجر الضمير، ومنها أخذ اليهود.. وان العرب ظلوا ثمانية قرون يشعون على العالم علماً وفناً وأدبا وحضارة واخرجوا أوروبا من الظلمات إلى النور).

لقد تأثرت الحياة الأوروبية بالحضارة الإسلامية، حتى انعكست في لغاتها عشرات الألفاظ.. ولا تأخذ الحياة الأوروبية هذا كله من العرب (إلا إذا كانت الحضارة الإسلامية في تمام التفوق الذي يغري بالاقتباس).

إن اصطلاحات الملاحة الأوروبية، على سبيل المثال، تشير إلى أصلها العربي، فكلمة أميرال ADMIRAL من «أمير البحر».. وكلمة ARSENAL من (دار الصناعة) وكلمة RISK بمعنى المغامر من رزق.

إن معظم أسماء النجوم في اللغات الأوروبية عربية الأصل، مثل (العقرب) ACRAB والجدي ALGADI والطائر ALTAIR والفرقد PHERCAD، بل أن كثيراً من مصطلحاتها الفلكية يرجع إلى ألفاظ عربية أمثال السماوات AZIMUTH والنظير NADER.

هذه اشارات فحسب إلى موضوعات كبيرة متشعبة يقف على قمتها:

– الإسلام والعلم قديمه وحديثه.

– الإسلام والفنون.

التنوير فى التصور الإسلامى

مداد العلماء أفضل من دم الشهداء

لقد ظهر مصطلح التنوير معبراً عن حسم الصراع بين الكنيسة والعلم لصالح العلماء والتنويريين، ولقد صور العلماء القضية على أنها صراع بين الدين بمعناه العام والعلم والعقل وانتقلت المعركة إلى عالمنا العربى بكل ظروفها واستعمل المثقفون العرب مصطلح التنوير – كغيره من المصطلحات – دون أن يتساءل واحد منهم عن الفروق الجوهرية بين الإسلام وموقفه من العلم والعلماء وموقف الكنيسة فى عصورها المظلمة، ولم ينتبه واحد من دعاة التنوير فى عالمنا العربى إلى أن الإسلام ليس هو الكنيسة، ولا العالم العربى هو أوروبا ولا الحضارة الإسلامية هى حضارة أوروبا، فى عصورها المظلمة، وأخذ دعاة التنوير فى بلادنا يصورون المعركة على أنها بين الإسلام والعلم، بين الدين والعقل بين ضرورة التخلص من الماضى، والنظرة إلى المستقبل وجعلوا أوروبا هى النموذج والمثل الذى ينبغى علينا أن نقتدى به إذا أردنا أن ننهض كما نهضت أوروبا، وظهرت فى الكتابات المعاصرة أنواع من الثنائيات التناقضية بين الإسلام والعلم، الدين والعقل، التراث والمعاصرة الظلامية والتنوير، وكما رفض العلماء فى أوروبا الكنيسة وأعلنوا الحرب عليها أخذ دعاة التنوير فى بلادنا يعلنون الحرب على الإسلام حتى يكونوا تنويريين، وكما صور العلماء فى أوروبا رجال الكنيسة على أنهم رموز للجهل والخرافة والظلامية أخذ دعاة التنوير فى بلادنا يلصقون نفس التهم برجال الدين الإسلامى، ويقينى أنه لو أنصف دعاة التنوير فى بلادنا لبدأوا دعوتهم إلى التنوير من حيث بدأ الإسلام دعوته، الذى جعل العلم فريضة وجعل طلبه عبادة وجعل مداد العلماء أفضل عند الله

من دم الشهداء، وهذا يدعونا إلى الحديث عن مفهوم التنوير بالمعنى الإسلامى، إن الموقف الراهن الذى يمثله دعاة التنوير بالمفهوم الغربى يفرض علينا أن نطرح سؤالاً نراه مهما عن حقيقة التنوير الذى نسعى إليه وتنشده الشعوب لكى تنهض وتتقدم ولكى تصنع تاريخها الحضارى، ما الأسس والركائز التى يبنى عليها مفهوم التنوير؟ أن كلمة التنوير فى لغتنا العربية مأخوذة من الفعل الرباعى «نور» ومصدره «تنوير» بمعنى أنار الطريق لغيره أو لنفسه وقد يكون ذلك التنوير حسياً وقد يكون معنوياً والانارة بالمعنى الحسى لها وسائلها المعروفة كالمصباح والكهرباء.. الخ. وليس هذا المعنى مقصوداً من اطلاق مصطلح التنوير فى كتابات المثقفين وإنما المقصود هو التنوير المعنوى بمعنى تنوير العقول بإزالة ما فيها من جهل وخرافة واعتقادات فاسدة وتنوير الحياة الثقافية بالقضاء على ما فيها من عادات وتقاليد ظلامية جاهلية وتنوير الحياة السياسية بالقضاء على ما فيها من ظلم واستبداد، ومن هنا تتناول أسس التنوير حياتنا كلها فى شئونها السياسية والاجتماعية والثقافية، ففى المستوى الثقافى نجد ركيزتى العقل والعلم، وفى المستوى الاجتماعى نجد ركائز الأخوة - الحرية - المساواة، وفى المستوى السياسى نجد ركيزتى العدل والشورى، وهذه الركائز هى أسس التنوير فى نهضة الأمم.

ثانياً: الإسلام والعمران

الإسلام مستهدف الآن سياسياً وعقائدياً، يتربص به أصحاب الأمية الحضارية، ويهيلون عليه ما شاءت لهم عقدة الحضارة، وفاتهم أنهم بهذا يمكنون له فيزداد رسوخاً.. إنه الإسلام.

لقد كان الإسلام وراء العمران فى المجتمع الاسلامى.. فالعمارة عمار واستقرار.. والاسلام يقول ﴿فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه﴾، والإسلام يحب البناء حتى ليشبه تماسك المجتمع الاسلامى المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

وقد اهتم الاسلام ببناء المساجد، وجعل عمارة البيت الحرام من مراقى القربى إلى الله تعالى ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾.

ومسجد المدينة كان الرسول يعمل بيده فى بنائه مع الصحابة والمسلمين تكريماً للدين، وتكريماً للعمل، وتكريماً للبناء الذى يضيف ويرفع حين يحطم الهدم مادياً ونفسياً.

وقد كيّف الاسلام، عمارة المسجد من حيث:

– الفراغ المعمارى.

– الارتفاع.

– الزخرفة.

الفراغ المعمارى فى المسجد، رأسى، يربطه بالسماء كما بالمئذنة، وأفقى يربطه بمكة.

إن إيثار الاسلام المساواة واحتفاله بها، وتأكيده عليها، انعكس على العمارة الإسلامية، فمالت إلى الأفقية التى تحمل معنى المساواة، حين تعين (الرأسية) على التفاوت، وترفع الارتفاع وشموخه، ولهذا يقوم نظام النسب فى الاسلام، كما يقول العالم الأثرى الأسبانى «دون مانويل جومث مورينو»، على أساس الوضع الأفقى وكأنه تحية لروعة الخلق الإلهى فى البحر والسهل.. وكأنه تأكيد لصفوف المؤمنين فى المسجد حين الصلاة.

ولا يستثنى من الأفقية الاسلامية المحببة إلى الفنان المسلم، إلا المئذنة، لحاجة الدين إلى انتشار دعوة الآذان على مساحة واسعة لاقامة الصلاة، أحد أركان الدين الخمسة، ولا يتحقق الانتشار المنشود إلا إذا انطلق الصوت طليقاً، من ارتفاع..

حتى ما يخرج عن (الأفقية) من الأشكال يطوعه الفنان المسلم لها، حين

يخطط زوايا، فإنه يؤثر، كما يقول الدكتور عبد العزيز سالم فى كتابه (القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية)، المنفرجة لأن الزاوية القائمة شكل من أشكال الارتفاع.. وحين يبرز استدارات فإنه يطوقها بإطار مربع.. وحين يقيم قباباً فإنه يهتم بتصغير نسبها حتى لا تفسد أفقية البناء، بل يوزع تكورها على فصوص، أو يقضى عليه بأن يستبدل به تقاطع العقود، أى يهبط به إلى مستوى القبوات.

وينعكس مبدأ المساواة فى الإسلام، مرة أخرى، على العمارة الاسلامية فى ميل المعمارى المسلم إلى السقوف المنخفضة المتمثلة فى المساجد الأولى، كجامع المدينة، والجامع العتيق بالفسطاط، الذى يحكى المقريزى أنه كان منخفضاً حتى عهد الوليد ابن عبد الملك، حين قام عبد الله بن عبد الملك برفعه سنة ٨٩هـ، بل أن المقرى فى (نفح الطيب) يحكى ان جامع قرطبة الذى أقيم بعد الفتح الإسلامى سنة ٩١هـ، كان يصعب على المصلين به القيام على اعتدال لتقارب هذه الاسقف من الأرض.. وظل هذا طابع المساجد فى دولة الإسلام حتى القرن الثالث الهجرى، فإن جامع ابن طولون فى القطائع الذى اقيم سنة ٢٦٥هـ كان ارتفاع سطحه لا يزيد على عشرة أمتار عن أرضية المسجد. لقد قاربت المساواة فى الإسلام بين المسلمين، وقربت بين الفنون الإسلامية.

فى مؤتمر الفن الإسلامى بلندن عام ١٩٧٦، قال النقاد الفنيون فى شبه إجماع: إن الفن الإسلامى على اختلاف أوطانه، متشابه.. وعزوا هذا التشابه إلى الخط العربى.

وأقول ان الفن الاسلامى يشد بعضه إلى بعض رباط بلاشك.. وأرى أن العنصر الرائع الذى يربط عطاءات الفن الاسلامى فى أوطان عدة، إنما هو الفكر الاسلامى من مساواة وحرية وسماحة وتوحيد.. إنها روح الإسلام.. ثم تجئ الكتابة العربية فتستوعبه على أن الخط العربى ليس واحداً، وانما هو تسعون نمطاً، من حرية الكاتب المسلم فى الرسم والتشكيل.

كيَّف الاسلام بروحه وتعاليمه العمارة الاسلامية والفنون، للتأثير على الناس أو يستخدمها هؤلاء للتعبير عن شعورهم نحو دينهم.

وقد عدد الدكتور فريد شافعي في كتاب «العمارة العربية في مصر الإسلامية» المؤثرات التي تكيف العمارة في أي مكان، تلك العوامل: النظم السياسية والحالة الاقتصادية – البيئة المناخية – الطبيعة الجغرافية – التكوينات الجيولوجية.

وقد خضعت العمارة الإسلامية لهذه العوامل في نشأتها وتطورها، خاصة في مصر، حلقة الوصل بين الشرق والغرب.. ويؤكد الدكتور فريد، أن العمارة الاسلامية في المسجد نمت نمواً محلياً تختلف في وحداتها وفي نسبها وأحجامها عما يقابلها في البلاد الإسلامية.

القبة في العمارة الإسلامية، تنتهي إلى نقطة يعلوها هلال، هو رمز الميلاد الجديد في عملية اختزال رائع للحياة.. ميلاد وعمل باق، ثم موت تعيد بعده الحياة نفسها مرة أخرى.

والحرية في الإسلام واحترامه الانسان انعكس على العمارة الإسلامية.

ثالثاً: الإسلام والحياة

توهج الإسلام بحب الحياة فأقر زينتها وطيباتها وطيوبها.. أوجب طهارة الجسم كالروح.. وزكى الطيب والخضاب.. وأباح التزين، وأتاح المتعة في غير حرام..

وأوجب الوضوء والاغتسال وكان نظاماً جامعاً للدين والدنيا. ويفرض هذا نصاً وطقساً.. وبث هذا في ثنايا أقوال ومعان كثيرة، ولكن بدون إسراف.. لقد أفسد بعض الخلفاء قصورهم الباذخة فلم يرتفع المأمون بكنوزه كلها إلى اعتاب عمر بن الخطاب ببساطته.

الله أكبر.. ليس كمثله شئ.. فيه سمو على الأشياء وعلو على الصفات يصفه العابدون ما يصفون ثم يظل أكبر.. ليس كمثله شئ.

إن الإسلام دين الفطرة.. لقد شرح «ابن طفيل» المسألة عقلانياً، ولكن التجربة الدينية: بصيرة.. انفتاح.. التجربة الدينية لا تعادى العقل ولكنها أبعد منه مدى.

إن التوحيد الإسلامى هو المحور الثقافى، توحيد الذات، فلا انفصام ولا تشقق، توحيد المجتمع فيبرأ من الشيع والتطاحن، توحيد العالم نحو القيمة الكبرى أى الله.

ومن هنا يأتى التدين فى الإسلام، تفسيرات وجدانية ارتفعت على لغو الكلام وعقم الجدل وأترعت بسلام وطمأنينة هى حكمة قلب حقق عمليا معنى التوحيد.. ومعانى الرحمة والبناء.. وعز الكلام والاتقان ونعيم البر بالحرفة، وأبهة الخلق المتطلق والمطلق.. وصمت الخاشع المستمع، وهناءة المستمرى السعيد.

ولا مراء، يستهل قارئ القرآن الكريم بقوله: ﴿أعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴾.

لكأنها تنقية للنفس مما يشوب وتهيئة لها لتتلقى سيال الرحمة من الآيات.. إنها رحمة أن يضاعف الإسلام الجزاء فى الحسنة ويقصره على المثل فى السيئة. إن الرحمة تظلل الإنسان بالطمأنينة من لدن الرحمن الرحيم.. بينما التوراة قلما ذكرت الرحمة حتى حين ذكرت الرحمة، وردت فى سفر التثنية «السفر الخامس» الذى يعزو الدكتور فؤاد حسنين، وضعه، إلى محاولة إنقاذ مملكة يهوذا.. أى مستحدث لغرض.. ولهذا يخالف الأسفار السابقة.. حتى الوصايا العشر عرضها عرضا جديدا يخالف العرض الآخر الذين ورد فى (سفر الخروج).

«والرحمة» فى المسيحية «تلتمس» من الله، ولكنها فى الإسلام وعد من الله، أى أمر محقق أو حق، كما يقول الدكتور كامل حسين فى كتابه (الذكر الحكيم أى أمل مطروح ومفتوح.. وهو شعور يزيد من طمأنينة النفس المسلمة).

من ميزة الإسلام أنه أسلوب حياة أى نمط سلوك من أبسط الأشياء إلى أعلى الأشياء.

الإسلام دين الاتقان تجويداً للقرآن.. وتجريداً للخط العربى حتى غدا تسعين قلماً.. إنه البساطة الخالية من التعقيد..

يقول النبى عليه السلام: «إذا أمرتكم بشئ من أمر دينكم فخذوه به.. وإذا أمرتكم بشئ من دنياكم فأنت أعلم بأمر دنياكم». وهو درس فى احترام الإنسان وعقله.

إن المنزه وحده هو الله سبحانه وتعالى.

الإسلام سلام فى الروح.. وسلام على الأرض.. إنه سلام يوم أعاد بناء الإنسان على أرض الجزيرة العربية فاعطى وساد.. كل شئ يسكب الصفاء على النفس فهو إسلامى الانتماء وهو سلام حين دعا إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالسيف كما يزعم المغرضون.

لقد حارب المسلمون من حاربهم وبدأ بالعدوان فلا مناص من الرد.

لقد دعا الإسلام إلى المسالمة فى المعاملة: ﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾ «سورة فصلت».

والإسلام حين يشرع الحرب دفعا للظلم، يحوطها بالتشريع ويضع لها من التقاليد والحرمات ما يليق بدين الشرائع المثلى.. فهو يحرم التمثيل بالميت وقتل النساء والأطفال أو بقر البطون مما ترتكبه الحروب الحديثة على الرغم من التشدق بحقوق الإنسان ومبادئ الإسلام.

جهلوا الإسلام فهاجموه، والناس أعداء ما جهلوا.. حتى لقد اعترفت وثيقة الفاتيكان إثر اجتماع مجمع الفاتيكان الثانى والتى طبعت للمرة الثالثة عام ١٩٧٠ بمظالم الماضى التى ارتكبها الغرب ضد التربية المسيحية فى حق المسلمين.

Orien tations pour Dialogue entre Chretiens et Muslums.

تلك الوثيقة التى تناشد العالم المسيحى بإقامة حوار بينه وبين المسلمين.

لقد قوى الإسلام بعد الحرب المادية على حرب معنوية لم يواجهها دين آخر، ولكن الحرب هنا لون من التقدير المعكوف أو المدح الملفوف، كما يقول الأستاذ العقاد فى العدواة.

إن «دانتى» على شدة عداوته للإسلام من منطلق عصره الوسيط، والحروب الصليبية مع إقرار الكثيرين من الباحثين بتأثره بالتراث الإسلامى، بل بالإسراء والمعراج فى ملحمته: (الكوميديا الإلهية).

دانتى هذا لم يقو على إنكار تقديره الفلسفة الإسلامية وفلاسفتها خاصة «ابن سينا» و«ابن رشد» اللذين أنزلهما منزلة كريمة عالية تركت بصمتها على الفكر الإسلامى.

ومن الطريف حين أقر فلسفتهما، أنكر عقيدتهما!! حتى أدخلهما الجحيم ولكن فى أولى مراتبه، حيث لا يوجد عذاب أو دموع.. ولكن زفرات وحسرات!!

لقد وقع «دانتى» فى الإسقاط فتحسر على أنهما لم يكونا مسيحيين حسرة كبيرة بحجم قدرهما فتخفف من حسرته بإسقاطها على رجلينا ابن سينا وابن رشد فجعلهما يتحسران!!

إلى هذا الحد بلغ الغرور الحضارى للغرب وليس للمسيحية.. إن المسيحية السمحة ما كانت ترضى لأوروبا أن تسفك الدماء فى الحروب الصليبية.. إن نبى الله عيسى – عليه السلام – حنا على الخاطئة وقال: (من لم يخطئ منكم

فليرمها بحجر)– وقال – عليه السلام – بإمالة الخد الأيسر إمعاناً فى التسامح ولين الجانب من «السيد» .

أليس غريباً أن ينال الكاتب Bassil من التدين؟ كما يصور الدكتور William جون روبنسون البريطانى خطرا مزعوما تتعرض له المسيحية فى كتابه : Christian Freedom Permissive Society S.C.M Press .

سئل «يونج» عن سر أزمة أوروبا فى كتابه: عن (ضياع The Undis covered Self الفرد) ولم يكن «يونج» وحده فممن نقدوا الحضارة الغربية برنارد شو فى كتابه (دليل المرأة الذكية) و«ديوى» فى كتابه عن (الفردية القديمة والحديثة Invidualism Old and new) .

الذى أشار فيه إلى التشقق فى النفس الأمريكية وAlexes Karelle الفرنسى فى كتابه (الإنسان ذلك المجهول) .

أقول إن كمال الحضارة أن يكون كل فرد فى المجتمع له مكان، لا يغنى غناءه أحد .

رابعاً: الإسلام فى القرن العشرين

لو صحبنا الإسلام منذ نشأته لرأينا عجباً .. كان الإسلام «فتوحاً» قبل أن يكون فتحاً ليست قوة دولة حديثة الخبرة وقت ظهوره .. وليس قوة سلاح، فما عند الفرس والروم من السلاح أكثر .. وليست قوة طبيعة البادية أمام استرخاء الحضارة، فقائد العرب «خالد بن الوليد» كان فى الذؤابة من قومه رخاء وثراء . ومن حيث القوة ففى امبراطورية الفرس وامبراطورية الروم قبائل أخرى فيها أشداء وأقوياء .

لقد جعل الإيمان من البداوة، دولة تهزم الفرس والروم معاً فى بضع سنوات، وهى أحدى العجائب، وكما يقول الأستاذ العقاد أعجب العجائب .. يقول الاستاذ العقاد :

إن قوة العقيدة الإسلامية لم تكن قوة غالبة فحسب، فى إبان النشأة والظهور، ولكنها كانت قوة صامدة بعد مئات السنين.

فإذا انتقلنا إلى العصر الحديث، نجد الإسلام، كما يقول الأستاذ العقاد، تبرز له دولتان فى آسيا عدد المسلمين فى كل منهما يزيد على سبعين مليونا، وهما دولتا «إندونسيا» و«الباكستان»، وسائر الدول فى آسيا، وإفريقيا تقترب من الحرية وتبتعد عن ربقة العبودية وهذه هى قوة الصمود بعد أربعة عشر قرنا من الدعوة المحمدية، لا ينظر المؤرخ فى اطوارها على تعدد ظواهرها وأدوارها، إلا وجب عليه أن يفترض لها سراً عجيباً. كذلك السر العجيب فى صدر الإسلام.. سر الغلبة من حيث لا تنتظر الغلبة فى عصر ظهورها، على أبرز دولتى العالم وقتئذ، وهما الفرس والروم وفى مدى خمس سنوات.

إن قوة الصمود هنا لعجيبة.. كقوة الغلبة هناك..

يقول الأستاذ العقاد:

إن قوة العقيدة الإسلامية قد سرت مسراها فى أرجاء العالم بمعزل عن حروب الدول وسياساتها.. وعن عروش العواهل وتيجانها.. وفى افريقيا اليوم مائة مليون مسلم لا شأن فى اسلامهم لدولة أو سياسة، وقريب من هذا العدد مسلمون فى السومطرة وبلاد جاوه، وقريب منه فى الباكستان، وقد يكون فى الصين وما جاورها عدة كهذه العدة من الملايين.

هؤلاء جميعاً سرت فيهم عقيدة الاسلام، بمعزل عن ذلك كله.

وعزا آخرون السبب إلى تقبل تعدد الزوجات وعزاه آخرون إلى أنه سوى بين الطوائف المتعددة وغيرها من رجال الدنيا والدين فرحبوا به، لأنه لا يفرق بين السادة والعبيد.

ومن هذه الأسباب انه دين بسيط سهل القواعد والأصول.. أما الرد على تعدد الزوجات فليس من اليسر، بحيث يقدر عليه كل من اراده، ص٢١.

إن تحريم تعدد الزوجات لم يرد فى كتاب من كتب العهد القديم، أو كتب العهد الجديد.. وكل ما ورد فى الانجيل أن القس ينبغى ألا يزيد على زوجة واحدة إن لم يكن بد من الزواج ص٢١ .

وقد جمع شارلمان فى القرن التاسع بين زوجتين وزاد عدد زوجاته على خمس كلهن على قيد الحياة، وقتئذ، غير من فى القصر من السرارى والزوجات غير الشرعيات، ص ٢١ .

ومن الطريف أن الأستاذ العقاد عرفنا بأسماء زوجات شارلمان.

وأنبياء بنى إسرائيل وملوكهم تزوج كل منهم أكثر من واحدة، وجمعوا بين عشرات الزوجات والجوارى فى حرم واحد.. وروى العالم الحجة فى شئون الزواج على اختلاف النظم الانسانية:

أن الكنيسة والدولة معا كانتا تقران تعدد الزوجات إلى منتصف القرن السابع عشر، ص٢٢ .

إن شمول العقيدة فى ظواهرها الفردية وظواهرها الاجتماعية هى المزية الخاصة فى العقيدة الاسلامية وهى المزية التى توحى إلى الانسان أنه «كل» شامل فيستريح من فصام العقائد التى تشطر السريرة شطرين ثم تعيا بالجمع بين الشطرين على وفاق، ص٢٧ .

لا وصاية فى الإسلام: ﴿لست عليهم بمسيطر﴾.

فى الإسلام الإيمان بالقدر والايمان بالمسئولية فى وقت واحد.

وفى الاسلام **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾، ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾**.

لقد وصفت العقيدة الإسلامية بالشمول لانها تشمل الأمم الإنسانية جميعا، كما تشمل النفس الانسانية بجملتها من عقل وروح وضمير. ص٣٧.

ويستغرب المؤرخون من تلك القوة المنيعة التى يشير إليها الإسلام من الكوارث والشدائد زهاء تسعة قرون، ولا يزال بعدها (وحدة انسانية) هائلة تتخذ مكانتها بين هيئات الأمم ولا تزال على أمل وثيق فى المزيد، ص ٤٥ .

لقد واجه الإسلام: الحروب الصليبية، والمسألة الشرقية، والشركات وأصحاب الديون، والاستعمار ودسائسه وتعويقه، والتتار والمغول .

لقد مضت القرون الأربعة بين القرن الحادى عشر والقرن الخامس عشر فى مواجهة الجيوش الصليبية (ولم تكد هذه الحروب تنتهى حتى خلفتها حروب المسألة الشرقية.. ثم تعرض العالم الإسلامى لأحوال التتار والمغول بقيادة (جنكيز خان) و(هولاكو) و(تيمور لنك) .

وكل بحث فى مستقبل المسلمين يستتبع كما يقول الأستاذ العقاد البحث فى مستقبل القارتين آسيا وأفريقيا على الخصوص، لأن تسعة أعشار المسلمين يسكنون هاتين القارتين.. وحولهما تحوم اليوم مطامع الاستعمار والاستغلال والتبشير.

إن الدول الكبرى التى تتجاذب سياسة العالم هى أمريكا وانجلترا وروسيا الشيوعية .

وتترك انجلترا ميدان السباق للروس والأمريكيين وتركز هى على بلاد العرب، التى تمتد من العراق إلى البحرين الأبيض والأحمر.

وتتسابق روسيا وأمريكا على المناجم وينابيع النفط. ونقط الاستحكام فى هذه القارة الواسعة، وهنا يقول الاستاذ العقاد:

(إن مآل كل ذلك حتما إلى ابناء البلاد لان حبل الزمن أطول من حبل المال وحبل السياسة وذلك على شرط واحد هو الاحتفاظ بكيان الأمة وقوامها وليس فى آسيا قوة روحية أقدر من الإسلام على حفظ الكيان والقوام للأمة التى تؤمن بدينه) ص١٦٩ .

وقد ظهر باللغة الانجليزية فى السنوات الأخيرة أكثر من مائة كتاب عن القارة الافريقية.. يقول الاستاذ العقاد:

(ما من كتاب من هذه الكتب خلا من ذكر الإسلام والتحدث عن سهولة انتشاره بين الشعوب الافريقية).

ويقول مهما يبلغ من نجاح خطط الاستعمار، فلن تكون افريقيا فى النهاية لغير الافريقيين.. ومن داخلها سيخرج لهم من ينتزع سيادتها من أيديهم..

خامساً: الإسلام حضارة

احترم الاسلام العقل.. وقد صور هذا «ابن طفيل» فى قصة (حى بن يقظان).

عرف.. «وايتهد» الدين بأنه أمر توحدى، فالدين هو وعى الإنسان بفرديته.. بقيمته الإنسانية الشخصية.

وقد احترم الإسلام، الإنسان يوم جعل العلاقة بينه وبين الله مباشرة، فالمسجد فى الإسلام كالقلب المفتوح.. إنه بيت الله بدون حجاب، وهذه هى سمة الإسلام الكبرى.

وبهذا الاحترام الكامل للانسان، صنع الإسلام حضارته لقاء حميما بين المادة والروح.. الإسلام رؤية جديدة للحقيقة. فرؤية القرآن لله رؤية محيطة.. رؤية ممتدة، يقول الله تعالى ﴿كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ كيف تصور هذه الآية.

رؤى ممتدة لا تعادى العقل ولكنها ابعد منه مدى.

يقول كارليل Karlile فى كتابه «الأبطال»: (لو لم يكن محمد فيه صدق لما استطاع دينه أن يعطى هذه الحضارة كلها).

إن الحضارة عقل الإنسان وروحه ووجدانه ويده. من اشراقات روحه اهتدى

إلى الدين، ومن هزات وجدانه أبدع الفن، ومن صنع يده: الإناء والبناء والنسيج والزرع والشجر، ومن بدع انامله الرسم والتصوير والنقش على الحجر.

كان خالقه يعرف قدراته حين ركبه فى أحسن صورة.

وكان ربه يعرف طاقاته حين ميزه بالعقل والنطق وعلمه ما لم يعلم.

أكرمه فكتب وقرأ بل كرمه على الملائكة فحمله الأمانة.

جعل له عينين ولسانا وشفتين وهداه النجدين.

ومع البصر، البصيرة.

ومع اللسان والشفتين، حبال صوتية فتكلم وترنم.

وقد وقف «جون ديوى» طويلاً عند دور الكلام فى صنع الفكر الذى يقوم على المسميات والصفات.

ولأمر ما بدأ الوحى فى الإسلام بالآية الكريمة: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

كانت هذه بداية كبرى للإسلام.. وكانت فاصلاً بين الجاهلية والإسلام، الذى هو علم.. ومدنية.. وحضارة.

والحضارة رحلة طويلة.. كتب الانسان على الواح الخشب. وكأن الشجرة أفاءت على الإنسان: الظل والنور، فى وقت واحد.

على فرع من الشجرة غرد الطير وأرسل النغم..

وعلى لوح من الشجرة غرد الإنسان وكتب بالقلم.

وبلاشك قبل أن يكتب الإنسان تكلم.

لابد أن يكون الإنسان قد استحدث أصواتاً يقلد بها رفيف الريح أو حفيف

الشجر أو رفيف النسمة، أو هسيس الموج على الحصى، أو خرير النبع، أو هدير البحر، أو زقزقة العصفور أو هديل الحمام أو بغام اليمام، أو حتى ثغاء الشاة ومواء القطة.

ولابد أن هذه الأصوات جميعا لفتته أو أدهشته أو فتنته فحاكاها.. وسار الزمن وسار الانسان.

الزمن يجدد دورته.. والإنسان يصنع حضارته ابتداء بالوسائل وتطورا إلى الغايات... وبين المرحلتين تبين له، أن حضارته لا تقوم بغير خمسة عناصر: الدين.. والفن.. والعلم.. والعمل.. والمال.

وقد زكاها جميعاً الإسلام.

دعا الإنسان إلى رعايتها رعاية جامعة متوازنة، يثرى بها فى شمول روحه وجسمه معاً فى توفيق دقيق وحقيق.

ولكن بين المرحلتين، أى الوسائل والغايات، بون شاسع وبعد بعيد.. فأرنولد توينبى، يذهب إلى أقدم أثر خلفه الإنسان فى رحلته مَع الحياة، أو قصته مع الحضارة، يرجع إلى ثلاثمائة الف سنة.. وإن كانت أراء أخرى تهبط بهذا الرقم كثيراً لاسيما العهد القديم، الذى يحدد عمر البشرية بسبعة آلاف سنة (النص اللاتينى) أو ستة آلاف (النص الاغريقى) حين جاء «روبرت هوك» فى عصر العلم واستقرأ طبقات الأرض فاكدت الجيولوجيا أن عمر الأرض أضعاف هذا الرقم.

الجيولوجى الدكتور نصرى شكرى فى مقاله (قصة الأرض) يقول: إن لكل وحدة، تاريخاً شيقاً.. فالنيل بمعناه الواسع تاريخ يربو على خمسين مليونا من الأعوام، انتقلت فيه دلتاه من الفيوم إلى الصحراء الغربية ثم إلى مكانها الحالى.

ولكن أكبر من هذا كله وأشمل وأصدق، وصف القرآن الكريم لله جل جلاله

بأنه (هو الأول والآخر). عمر الأرض مليون سنة، أو ألف مليون سنة أو غير هذا..

الله هو الأول والآخر.. وينعكس هذا على الفن الإسلامى مما يشهد به غير المسلمين فى وفاء للحقيقة.. هو تجرد وتجريد يرتفع إلى أفقه الانسان إزاء الحقائق الساطعة والناصعة.

يقول الدكتور بشر فارس فى كتابه (سر الزخرفة الإسلامية): (على المؤمن أن يتوجه بكيانه إلى الله.. فالله مصدر جذبه وغاية سعيه فى آن واحد).

وفى القرآن الكريم: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾. وفيه أيضاً: ﴿ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون﴾. هذان معنيان يرددهما كتاب الإسلام.

لقد كان الإسلام مددا للحضارة، وسنداً للفنان أى الانسان المتحضر.. وإذا كان فن الأدب يفقد الكثير حين الترجمة.. فإن التشكيل له قدرة على الاقناع والامتاع عبر حواجز المسافة واللسان.. هناك لغة للفن والفنان.

سادساً: مصر فى الإسلام

منذ بداية التاريخ الإسلامى، كانت مصر علامة، وكانت قامة، وكانت هامة، وكانت نقطة تحول، وكانت رافعة وجدانية، وكانت تاريخاً.

يقول توينى: «فى الفترة القصيرة التى عمر فيها المجتمع العربى، كانت مصر هى البلد الذى اشتد فيه نبض هذا المجتمع الذى كان ضعيفاً خافتا فى غيرها من البلاد وقد قدمت مصر لهذا المجتمع حافزاً هو التربة الجديدة».

لقد أسهم الفرس فى الحضارة الإسلامية بنصيب وافر بالرجال العلماء.. ولكن مصر هى التى أعطت، العرب والإسلام، تربة جديدة ذات طبيعة قوية قادرة، ومباءة ذات سالفة فى الحضارة والفهم والتفهم، والتعمق، والإنشاء.

فما كادت مصر تدخل فى الإسلام وتتفتح له، حتى سابقت إلى جمع الحديث وتسجيله على ورق البردى الذى عرفت به.

وجهدها فى هذا كما يقول الدكتور كامل حسين فى كتابه (أدب مصر الإسلامية): «يعد من أقدم المخطوطات العربية فى جميع مكاتب ومتاحف العالم».

وتتجلى مصر المحققة ذات العلمية فى هذا المضمار فى صنيعها مع الإمام مالك، فهى حين اختارته، لم تقبل الروايات كما هى فى (الموطأ) بل كان المصرى عبد الله بن وهب، يدقق فى اختيار الأحاديث، وهذا المصرى كثيراً ما كان الإمام مالك يفتى بآرائه، فإذا قال مالك (حدثنى من أرضى) فإنما هو عبد الله بن وهب.

وإلى مصر رحل جمع من الصحابة حملة الحديث، عد، منهم محمد بن الربيع الجيزى فى كتابه، مائة ونيفا وأربعين صحابياً وزاد عليه (السيوطى) و(ابن سعد) فى طبقاته..

يقول الدكتور أحمد أمين فى (ضحى الإسلام): «عد هؤلاء الصحابة مصريين لنزولهم فى مصر واستيطانهم بها، لذلك يلقبهم المحدثون؟: بالمصريين».

إن الفقيه المالكى عبد الوهاب بن على، الذى وصفه صاحب (تاريخ بغداد) بأنه لم «ير» فى المالكية، أفقه، منه، ضاقت حاله فى بغداد فتطلع إلى مصر الملاذ.. وإذ أكرمه المصريون (وعاش) بقى فى مصر، فلما حضرته الوفاة سنة ٤٢٢هـ كان يقول: «لا إله إلا الله عندما عشنا، متنا».

وإلى مصر رحل البخارى ومسلم والنسائى لاستقاء الأحاديث من ثقاتها، وطوف الحافظ السلفى ما طوف فى أكثر بلاد العالم الإسلامى وراء الحديث ثم استقر به الأمر فى الإسكندرية.. «إذ بنى له الوزير المصرى ابن السلار مدرسة

للحديث سنة ٥٤٦هـ واسند مقاليدها إليه، فصارت كعبة يحج إليها طلاب الحديث.

ونبغ من المدرسة المصرية فى الحديث، نافع شيخ مالك، وفقيه الحجاز، ويزيد ابن أبى حبيب الأزدى، والليث بن سعد. ومن عطاء مصر فى الإسلام: الرجال.

كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول: «ديار مصر تفتخر برجلين فى طرفيها: ابن منير بالإسكندرية.. وابن دقيق العيد فى قوص).

وكان الشافعى يقول للربيع بن سليمان: يا ربيع ادع لنا، سرجاً.. «يريد سرج الغول»، وهو رجل من أهل مصر عالم باللغة ولا يقول أحد شيئاً من الشعر إلا عرضه عليه.. فيأتى به فيذاكره ويناظره ثم يقول سرج الغول فيقول الشافعى «يا ربيع نحتاج أن نستأنف العلم».. كما كان الشافعى يقول عن فقيه مصر قبله: الليث بن سعد: (الليث أفقه من مالك غير أن أصحابه ضيعوه).

وفرضت مصر شخصياتها فى الفقه حين كيفت آراء الشافعى وحورت وبدلت فيها، حتى اضطر أن يكتب رسالته من جديد فيها، عدولا عن رسالته القديمة التى كتبها بالعراق متأثراً فى الرسالة الجديدة بالبيئة المصرية، وبما خالط وسمع تلاميذ الليث بن سعد ينقلون عنه اراءه وفقهه.

ومثل هذا فعله بمذهبه.. ففى مصر كتب مذهبه الجديد.. وما أوسع الفرق بينه وبين مذهبه القديم، الذى كتبه بالعراق، وكتابه (الأم) به شواهد كثيرة على تأثره بالبيئة المصرية، كحديثه فى القراطيس وشهادة الشعراء وصيغ الوقف.. ومن الحديث (إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)، عن أبى هريرة رواه أبو داود فى سننه، والحاكم فى (المستدرك) والبيهقى فى (المعرفة).

هؤلاء المجددون الذين اقترنت بأسمائهم حركات البعث التجديدى فى تاريخ الإسلام فى البضعة عشر قرنا، مصريون معظمهم بالمولد أو المربى، أو الولاء.

ففى حياة هذه الفكرة التجديدية، كما يقول الاستاذ أمين الخولى:

«تجد مصر كدأبها، مشاركة بحيويتها، حاضرة بانبعاثها الذى يحدده تدينها المتفلسف وتفلسفها المتدين وعملها العتيد فى البعث ومن أجل البعث».

وكما اتخذت مصر الإسلامية دوراً مهما فى علم الحديث، اتخذت دوراً ذائعاً فى علم القراءات.. فعن (ورش) المصرى أخذ علماء المغرب عن تلميذه (أبى يعقوب) الأزرق بن عمرو بن يسار المصرى، وأخذ الأندلسى عن عبد الصمد بن عبد الرحمن القاسم المصرى.

وعن القراءات ...

كتب الشيخ عبد العزيز البشرى مقالاً عن (تقاليد مصر فى الفن)، جاء فيه أن متقدمى القراء فى مصر (لا يبدأون قراءتهم إلا من البياتى، وبه دائما يختمون).

ويعزو الشيخ البشرى هذا إلى أن البياتى نغمة البلد الأصيلة، أو من أقدم النغم الذى تتقلب فيه حناجر المصريين.. ففى الحق أن هذه النغمة فوق سعة أفقها، وتقبلها لكثرة التصرف والتلوين، فإن المصرى يجد فيها من الاسترواح والأنس بها، ما لا يجد لكثير.

أو لعله يرجع إلى هدوء فى طبيعتها، يلين للحناجر قبل أن تصقل وتجلى، ثم يتلطف لها بعد ما أنهكها الجهد الشديد.

إن أهل مصر أصحاب فن، وأهل ذوق، وعشاق تطريب.

القرآن الكريم يكشف أسرار الحضارة الفرعونية

يكشف القرآن الكريم عن أسرار مهمة فى التاريخ الفرعونى لم يتم الكشف عن معظمها إلا منذ قرنين فقط، وهذا من معجزات القرآن الذى نزل على الرسول (ﷺ) بعد ألف عام على نهاية التاريخ الفرعونى ووقوع مصر تحت الاحتلال الفارسى ثم اليونانى فالرومانى.

والذى كان يتناقل عن الفراعنة أساطير مشوشة، حتى هيرودوت الذى زار مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد، وفى بداية الاحتلال الفارسى كان ينقل انطباعاته كرحالة منبهر بحضارة مصر، أو أطلالها.

وحتى نعلم مدى الاعجاز القرآنى فى ذكر أسرار التاريخ الفرعونى نجد أن القرآن الكريم ذكر اسم مصر أربعا أو خمس مرات، واسم فرعون ٧٤ مرة، ومع أن حاكم مصر المصرى كان يسمى (فرعون) وهى التسمية المتداولة منذ الدولة الحديثة، فلم يرد هذا اللقب عن حاكمها فى قصة يوسف عليه السلام الذى يقال أنه دخل مصر فى عصر احتلال الهكسوس لها، ولهذا جاء لفظ ملك فى سورة يوسف وليس فرعون، والذى اشتراه من مصر وزوجته صاحبة القصة مع يوسف سماه القرآن «العزيز» أى من يمكن أن يكون وزيراً أو موظفاً كبيراً. أما فى قصة موسى الذى جاء ذكره فى القرآن ١٣٦ مرة فالحاكم هو دائماً فرعون بسلطانه وسيطرته. ومن مظاهر الحضارة الفرعونية التى ذكرها القرآن الكريم: النيل وفروعه: ﴿ونادى فرعون فى قومه يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى..﴾ الزخرف/٥١ دولة ذات مدن عديدة: ﴿قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين. يأتوك بكل ساحر عليم﴾ الأعراف/١١١ – ١١٢.

ازدهار وثراء مصر الفرعونية: ﴿وقال موسى ربنا إنك أتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً فى الحياة الدنيا..﴾ يونس /٨٨ زراعات مصر: ﴿واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون، كم تركوا من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾ الدخان/ ٢٤–٢٧ إشارة إلى مكانة مصر العالمية فى تلك الفترة من التاريخ: قول رجل من آل فرعون يكتم إيمانه:

﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض﴾ غافر/ ٢٩ .

فالقرآن هو أول كتاب يشير إلى صعود ونزول الحضارات فى التاريخ، وهو العالم الذى اكتشفه ابن خلدون بعد ثمانية قرون من نزول القرآن.

تسجيل مبكر لدورة شح النيل والمجاعات فى مصر: ﴿قال تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلاً مما تأكلون، ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون، ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ يوسف/٤٧-٤٩ . ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون﴾ الأعراف/ ١٣٠ .

وهذا يعنى الدراية بأحوال فيضان النيل وخصوبة أرض مصر التى تعتمد على ما يأتى به هذا الفيضان من خير.

إمكانيات المصريين التشييدية المبكرة: ﴿وقال فرعون ياأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى﴾ القصص/٣٨، وهذا يعنى أن ما جاء في القرآن بهذا الخصوص يربط قصة موسى بعهد تال لاكتشاف عملية حرق الطوب اللبن للحصول على طوب صلب. دعوة امرأة فرعون ربها فى القرآن تنفرد بما يتناسب مع خلفيتها الحضارية: ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة﴾ التحريم. وجود مجمع بحرين (الارجح أنه مصب أحد روافد النيل فى بحيرة أو بحر أو عند ما يسمى الآن برأس محمد حين يلتقى خليج العقبة مع خليج السويس) ﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين..﴾ الكهف/ ٦٠ .

التحنيط المصرى بنجاة جسد فرعون ليكون لمن بعده آية، أن فرعون موسى الذى ثبت أنه مات غرقاً هو مرنبتاح إبن رمسيس الثالث ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾ يونس/٩٢ وليس رمسيس الثانى هو فرعون موسى كما تزعم المراجع الاسرائيلية فقد أرسل جثمان رمسيس الثانى إلى باريس للمعالجة فى عهد السادات ولو كان قد مات غرقاً لأذاعوها.

منزلة سيناء فى القرآن الكريم

«سيناء» تلك الأرض المصرية المباركة جاء ذكرها فى القرآن الكريم وخصها الله بخصائص مميزة لم تكن لسواها.

عن منزلة وفضائل أرض سيناء عند الله تعالى وعند رسوله الكريم ودلائل هذا التفضيل فى ضوء الكتاب والسنة نقول إن الله سبحانه وتعالى وهب مصر وأهلها أشياء كثيرة وعظيمة، فقد ذكرها فى القرآن الكريم أكثر من مرة كما أوضحنا فى الصفحات السابقة، وأخبرنا النبى ﷺ بأن جنود مصر خير جنود الأرض فهى كنانة الله فى أرضه، كما خص الله تعالى أرض سيناء بخصوصيات ومنزلة كبيرة، قال تعالى: ﴿**وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين**﴾ فالمراد بالشجرة هنا شجرة الزيتون وقد بارك سبحانه فيها بقوله تعالى ﴿**يوقد من شجرة مباركة زيتونة**﴾ ووصفها بأنها تخرج من طور سيناء مع أنها تخرج من مواطن أخرى كثيرة من الأرض. ويعد ذلك إشارة إلى أنها ولدت أولاً فى هذا الموطن المبارك طور سيناء، فهو الرحم الطاهر الذى خرجت منه أشجار الزيتون.

أن الله تعالى أقسم بسيناء، ذلك المكان الطيب الطاهر، كما أقسم بالبلد الأمين، تعظيماً وتشريفاً لقدرها عنده سبحانه وتعالى فى قوله ﴿**والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين**﴾ وفسر بعض العلماء هذا القول بأنه ليس المراد فى قوله تعالى الثمرة من التين والزيتون، يقول ابن عباس لتفسير «التين والزيتون» أنهما جبلان فى الأرض المقدسة يقال لهما طور تين وطور زيت لأنهما منبتا التين والزيتون وهما منشأ عيسى عليه السلام مبعثه ومبعث أكثر أنبياء بنى إسرائيل، كما أن طور سنين مبعث سيدنا موسى عليه السلام.

أن طور سيناء هو الجبل الذى كلم الله تعالى عنده سيدنا موسى بن عمران عليهما السلام ونودى فيه وهو مكان كثير الشجر كما جاء اسم هذا الموضع (سينين) فى قوله تعالى «وطور سنين» فهو اسم مركب من حروف (س، ن، ى، ن) ولا يوجد فى كلام العرب إلا فى كلمة واحدة هى سنين.

إن صحابة رسول الله (ﷺ) وصفوا مصر بأنها خزانة الأرض كلها حيث قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى وصف مصر «من أراد أن ينظر إلى الفردوس فى الدنيا فلينظر إلى أرض مصر حين يحضر زرعها وتنور ثمارها».

سابعاً: حين تنجب مصر أعلام الإنسانية

الإمام الليث ابن مصر. قال عنه الأئمة الاعلام ما نشرف به:

* الليث أتبع للأثر من مالك: الشافعى.

* كان من سادات أهل زمانه فقها وعلما وحفظا وفضلاً وكرما: ابن حيان.

* انتهى علم التابعين بمصر إلى الليث بن سعد: الفيروز بادى.

كان رجلنا واسع الثراء.. واسع العطاء حتى لا تجب عليه زكاة، لأنه ينفق على ذوى الحاجات فلا يبقى من ماله ما يستحق الجباية. لا يفتى ومالك فى المدينة. وأقول مصرية لا يفتى والليث فى مصر.. الإمام والإمامة والعلامة فى مصر.

يسجل كتاب (الامام المصرى الليث بن سعد) أنه عاش رئيساً، فى العلماء – مقدما عند الخلفاء، مبجلاً عند الخاصة، موقراً عند العامة أقبلت عليه الخيرات ودنت منه الأمانى فأوتى العلم والعقل والمال والسيادة والجاه وأوتى أكبر من هذا كله النفس الشماء، التى لم يشغلها هذا كله عن دينها وتقواها.

كان عالم مصر الليث بن سعد، امره قبل امر الولاة وحكمه عزيزا عند القضاة.. كان دخله ثمانين ألف دينار فى العام فما كنز منها شيئاً ولا منعها فقيراً، فأجمع الكل على إجلاله وعقدت القلوب على محبته، كان يملك الكثير ويوزع الكثير على الناس فلم تجب عليه زكاة قط. ولكنه يعطى من تلقاء نفسه، الكثير.

يسميه العلماء: الامام المصرى. ويقول الشافعى: الليث اتبع للأثر من مالك، ويقول أبو على الخليلى: كان إمام وقته بلا مدافعة.

جاء فى طبقات ابن سعد: «كان الليث سريا بين الرجال.. نبيلاً سخيا.. له ضيافة» ويمثل هذا وصفه العظيم مصطفى عبد الرازق الامام الأكبر.. والسرى الثرى الإمام والامامة والعلامة.. والفضل يعرفه ذووه.

قال ابن حجر العسقلانى «إذا قال الامام مالك أخبرنى من أوصنى من أهل العلم» فإنما يعنى الليث بن سعد كما جاء فى كتاب: (الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية).

ويقول شيخ الاسلام الامام الأكبر مصطفى عبد الرازق: (حسب الليث بن سعد أن يكون من شيوخ البخارى ومسلم).

كان الليث الامام الفقيه يوجه الخلفاء والامراء، ويحاسب القضاة، وينصف المظلومين المسلمين والمسيحيين. وفى كتاب (حسن المحاضرة) قال الذهبى فى العبر: كان نائب مصر وقاضيها يلبيان أوامر الليث بن سعد وكان إذا رابه من أحد شئ كاتب فى شأنه الوالى فيعزل..

وقد أراد المنصور أن يوليه امارة مصر فامتنع.

حقا لم يتولى الليث إمرة مصر، وقد عف عن الولاية وعف عن القضاء. ولكنه كان من جلال القدر ورفعة المنزلة بحيث يلجأ إلى رأيه ولاة مصر وقضاتها.. وقد كان امره، قبل امر الولاة وحكمه فوق حكم القضاة.. ولم يستغل ذلك لنفسه بل جعله لخدمة المسلمين وتنفيذ أحكام الدين.

كان الليث فى مصر نيلا مع النيل.. حتى لقد كان استاذه «ربيعة الرأى» يقدمه ويفضله لبيبا وخطيباً وأديبا وأريبا ذكيا، أبيا، مصقولاً بحكم التاريخ الطويل فى الحضارة – فكان «ربيعة» يسميه: الوجيه المصرى.

وتحفز اخباره، الخليفة العباسى المنصور، إلى رؤيته ليطلب إليه أن يقابله فى (بيت المقدس).. وهناك يناظره فيبهره الليث حتى ليعرض عليه أن يوليه مصر، ويمنعه خجله ودماثته أن يرد طلبه فى كلمات مباشرة فيلف الرد،

متحضراً، فى غشاء شفيف: يا أمير المؤمنين، أنى أضعف من ذلك الرجل من الموالى! اراه يخفى ابتساماً..

إنه سيد السادة بما وراءه من فقه فى الدين، ويصر بالعلم ووراثة من تاريخ.

أن المصرى ليس من (الموالى)، أنه سيد الكل، فهو ابن النيل، وهو ابن التاريخ العريض وهو ابن الحضارة والنضارة.. انه ابن ناس، لقد اعطى المصرى كثيراً للدنيا ولم يمد، يدا إلى أحد ولو كان خليفة.

ويرد الخليفة: (ما بك من ضعف معى ولكن ضعف نيتك فى العمل عن ذلك لى) وأجزل المنصور له العطاء!

وأراه مرة أخرى يخفى ابتساماً.. فهو أصيل فى الغنى.. ومن هنا وزع كل ما قدمه إليه.. وقبل أن يبرح المكان، على المحتاجين.. استغناء وكبرياء.. لقد حاول الخليفة أن يهدى الماء إلى البحر.. بحر النيل ولم يخف هذا أيضاً على الخليفة، فينصح أهل العلم فى العراق وسائر الأمصار بأن يذهبوا إلى الفسطاط (ليتلقوا عن هذا الفقيه المصرى الشاب الذى لم يلق المنصور افقه منه بالشريعة ولا احفظ منه للحديث ولا أحد، منه بصيرة، أو أذكى جنابا أو أفصح لسانا، ولا أعدل أو اعف أو أوسع علما بمعارف الأوائل وحكمتهم ولا أقدر على الاستنباط، ولا أسلم منه).

حين أختار الله الامام الليث إلى جواره، سارت وراءه مصر باجمعها وبكته احر بكاء، حتى قال طالب علم لابيه وهما ينصرفان من جنازة الامام: يا أبت. كأن كل واحد من هؤلاء الناس صاحب الجنازة. فقال: يا بنى: كان عالماً حسن العقل كثير الأفضال.. يا بنى لا ترى مثله ابداً.

أما المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها فقد قالوا: ذهب سيد الفقهاء.

ولم يكن التاريخ الإسلامى والعلمى دون ذلك تقديراً أو تقريراً.

حين جاء الامام الشافعى مصر، ذهب من توه إلى قبر الإمام الليث،

فصلى.. ودعا له بالرحمة.. ووقف به طويلاً يتأمل فى صمت حياة طويلة عريضة خصبة زاخرة مضيئة، مسعدة، عامرة، باغلى كرائم الانسان. وقف الشافعى طويلاً أمام عقل متوهج، ونفس معطاء وكف دفاق، وذكاء خلاق، وبشر آلاق، وخير غميم.

ويبكى الشافعى ويقول: (لله أنت يا إمام.. لقد حزت أبرع خصال لم يكملهن عالم: العلم.. والعمل.. والزهد.. والكرم).

وبعد اثنى عشر قرناً نردد بعد الشافعى هذا التمجيد لان الصدق فى القول والعمل لا يخيب ولا يغيب.

ثامناً: دور الحضارة الإسلامية فى الحضارات الإنسانية

الإسلام حضارة يوم احترم العقل الإنسانى إلى الحد الذى يقول معه، الأستاذ العقاد: (التفكير فريضة إسلامية).

سئل «يونج» عن سر أزمة أوروبا، فى كتابه: (The Undiscoverd Self) فقال: «ضياع الفرد». ولم يكن «يونج» وحده، فممن نقدوا، الحضارة الغربية: «برنارد شو» فى كتابه: (دليل المرأة الذكية).. و«ديوى» فى كتابه عن (الفردية القديمة والحديثة) Individualism Old and New الذى أشار فيه إلى التشقق فى النفس الأمريكية.. وKarelle Alexes الفرنسى فى كتابه (الإنسان ذلك المجهول).

الإسلام يتمثل الدين فى علاقة الفرد بالله فى توحيد يحرر الإنسان ويحفظ عليه توازنه النفسى ويصله حين القنوط برحمه الله حتى الجاحد أو من يعبد الله على حرف، يلجأ فى الخوف وحين البأس، إلى القوة العليا.

كان «يونج» يقول (نحن الأوربيين نتمنى أن نتسلق قمة ديانة فلسفية ولكننا عاجزون لأننا حديثو عهد بالتحضر.. قصارى ما نصل إليه أن ننمو إليها.. ننمو فى اتجاهه).

ويتساءل فلهلم Velhilm لماذا نترجم عن الشرق ونتعرف على الشرق؟.. إنها حاجة الأوروبى إلى الجانب الروحى فى نفس الإنسان.

وكما احترم الإسلام الفرد احترم المجتمع.. وإذا ضممنا آيات الشورى فى القرآن إلى آيات المجادلة الحسنة فإننا نلمح حض القرآن الكريم على وجوب دور الرأى العام.. وأن الرأى العام كما يقول فضيلة الاستاذ محمد أبو زهرة فى كتابه (التكافل الاجتماعى فى الإسلام) رقابة نفسية. ومعنى أن الرأى العام له رقابة نفسية، أنه إذا صلح هذب الآحاد والجموع.. وإذا فسد وتقاعس. فسد المجتمع.. الإسلام ثورة إنسانية حين جعل العبادة لله وحده مما أطلق حرية الإنسان مادام لا إله إلا الله.

هذا المعنى الذى يجب أن تلتفت إليه التربية فى البيت والمدرسة لتستقيم النشأة ويستقيم الانسان.. لقد غلب المسلمون الأوائل، فى بساطتهم، الفرس والروم لا بالسيف فما عند الروم والفرس من السلاح، أكثر ولكن بالتوحيد وليس التوحيد كلمة بسيطة تقال حرفية أو ببغاوية ولكن (رؤية رائعة) مادام لا إله غيره، ولا حق غيره، ولا قوى غيره، ولا سلطان غيره.. فلا يخشى غيره.. فما عداه صغير، وضعيف.. ومقدور عليه ولولا هذا لتهيبوا الامبراطوريات ولخافوا..

لقد فتح «هولاكو» بالسيف ولم تقم له قائمة ولم يدم له ذكر.. ولم يحبه قلب.. ولم يقتنع به عقل..

إذن ليس السيف..

إن الأمور تقيم بالجذور لا بالقشور..

والإسلام ثورة ثقافية حين أعاد بناء الإنسان.

وهو ثورة ثقافية وإنسانية معا حين رفع كرامة المرأة بعد الوأد.. وهو ثورة ثقافية حين دعا إلى النظر الرحيب فى الكون والنفاذ إلى ابداعه واتساقه الغريب.

كانت المدارس الدينية «الشافعية – المالكية – الحنفية» تدرس مع علوم الدين، الفلك – الهندسة – الموسيقى – وهى رؤية فى العلاقات المتجانسة بين العلم والدين والفن يسمونها (العلاقات الفاضلة) أنه الوعى بالمتاح للإنسان.. وهذا المتاح كثير فى شتى ألوان المعرفة فى العلم والفن والصناعة.. ثم تمحيص هذا كله للوصول إلى الحقيقة، ثم التواصل معها ثم وصل الناس بها..

حين ربط الإسلام، الإنسان بالكون الرحيب، وسع افاقه فلم يحصره فى ركن واحد تحت اسم العلم أو المادة.

يقول «جيرالد هيرد» فى كتابه (The Third Morality) أى القيمة الخلقية الثالثة وهى التى يفتقدها الغرب فهو تعس بتحكيمه القانون العلمى فى كل شئ حتى غدا الإنسان آلة قابلة للتحكيم والتحكم.. ومادام كل شئ «ماكينة» فكل شئ لا هدف له ولا أخلاق له ولا قيم له.

لقد أشاد الإسلام بالعلم والعلماء حتى ليقول: «موريس بوكاى»: (لقد اتخذ العلم لأول مرة صفة عالمية فى جامعات العصر الوسيط.. الجامعات الإسلامية).

فى كتابه (دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة) أقول: العلم أحد أركان الحضارة التى تقوم على: الدين – العلم – الفن – العمل – المال.

وقد زكاها جميعاً الإسلام ودعا إلى رعايتها رعاية جامعة متوازنة يثرى بها الإنسان فى شمول: روحه وجسمه معاً فى توفيق دقيق وحقيقى. وقد طرحت الحضارة الإسلامية فى مجالات العلم والفن طرحا وافرا وزاهرا. استشهد فى باب العلم بمجلة Deutsch Land الألمانية العدد ٤٢/٩٥ فقد كتب سيلفستر فوهلر، مقالاً بعنوان (التاريخ الحقيقى للعلوم العربية) أشار فيه إلى أن المستشرق فؤاد ستركين وصل الآن إلى كتاب المجلد الثانى عشر من أصل عشرين مجلداً يقرر كتاباتها عن (تاريخ المؤلفات العربية) وكان هذا العالم التركى الأصل يهتم منذ وقت مبكر بهذا الجانب منذ كان تلميذاً للمستشرق الألمانى المشهور هيلموت

ريتر بمسألة نشر التاريخ الحقيقى للعلوم العربية وتأثيرها على بلاد الغرب.. وفى الطرف الغربى من مدينة فرانكفورت تقوم مؤسسة بحثية أى معهد دولى متخصص فى تاريخ العلوم العربية والإسلامية.

ويشير المقال إلى عصر الترجمة إلى العربية عن اليونانية والفارسية. يقول سيلفستر فوهلر. بعد (مرحلة الجمع والاطلاع التى استغرقت نحو مائتى عام تمكن العلماء العرب خلالها من دراسة المعارف العلمية التى كانت موجودة فى العالم انذاك.. بدأت مرحلة الابداع والتأليف فى صفوف العلماء العرب.

وفى هذه المرحلة وصلوا فى كل حقل من حقول العلم إلى مستوى أعلى ودفعوا الفروع العلمية نحو مزيد من التخصص.. ووضعوا كثيراً من المصطلحات العلمية الجديدة كما أنهم وضعوا حجر الأساس لفروع علمية جديدة تماماً مثل: (علم الاجتماع) و(فلسفة التاريخ). إن العالم مدين كما يقول العالم «سيلفستر فوهلر» لأولئك الباحثين العرب القدامى باعتماد التجربة كوسيلة للبحث العلمى تطبق بصورة منهجية ويشير إلى رحلة قام بها سبعون جغرافياً مسلماً فى بداية القرن التاسع الميلادى استغرقت عدة سنوات وأسفرت هذه الرحلة العلمية عن وضع خريطة للعالم تعتبر بالنسبة إلى ذلك الوقت ذات دقة عالية ويعرضها معهد فرانكفورت بعد أن حولها بطريقة بارعة إلى مجسم على شكل كرة أرضية.

تاسعاً: دور الكتاتيب فى محو الأمية

وافقت اللجنة الدائمة للمجلس المحلى لمحافظة القاهرة على عودة الكتاتيب فى المساجد الجامعة، بكل حى. على أن تقبل المرحلة العمرية من ٥ سنوات حتى ١٢ سنة لرفع المستوى الفكرى، والتنشئة الدينية والسلوكية للأطفال.. وذلك تحت إشراف مديرية الأوقاف.

بفضل من الله الذى يصعد إليه الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، عاد مشروع الكتاتيب.

إذا كانت الكتاتيب قليلة الشأن لا ثقل لها، لماذا أغلق كرومر الكتاتيب؟ أليس اعترافاً معكوفاً بتأثيرها وخوفاً دفينا من عملها؟.

أن المستعمر الداهية كرومر قرأ قول د. جوديث كوكران: «كان تلاميذ الكتاتيب الممتازون يستطيعون أن ينمو معرفتهم بالإسلام وأن يصبحوا أرفع المصريين علماً».

وتقول د. جوديث: «مع حلول ١٩٠٧ تم إلغاء التعليم المجانى كلية، بامر كرومر، وكان المصريون يذهبون إلى الكتاتيب التى كان يتم تمويلها فى المراحل المختلفة من الأموال الموقوفة على كل مسجد أو كنيسة».

إن الكتاب الإحصائى السنوى ١٩٩٢ - ١٩٩٧، الصادر من الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء يسجل عن ١٩٩٦ أن:

- عدد الأميين فى الحضر ٥,٢٤٥,٥٥٤ بنسبة ٢٦٪.

- فى الريف ١٢,١٠٢,١٩١ بنسبة ٤٨,٩٪.

العدد الإجمالى ١٧,٣٤٧,٧٤٥ بنسبة ٣٨,٠٦٪.

وقد حسب الجهاز النسبة بعد سن العاشرة أى بعد المرحلة الابتدائى التى تبدأ من سن السابعة، فما بالنا بنسبة الأمية قبل هذا؟

كيف تصبح (الأمية) بعد قرن كامل بهذه النسبة البائسة؟ ونسمع ليلاً ونهاراً حديثا يزداد ويعاد عن محو الأمية حتى صارت من الألفاظ الاضداد أى زيادة الأمية وليس محوها!!

نحن ننادى بالكتاتيب لملء الفترة قبل سن السابعة لمحو الأمية.. ليست القراءة والكتابة فحسب، ولكن الأمية الخلقية والأمية الاجتماعية والأمية النفسية.

إن الكتاتيب، وصلت باللغة العربية فى أعلى صورها أى القرآن الكريم.. والكتاتيب تقوم على تحفيظ القرآن الكريم، وتقوم بتحفيظ القرآن الكريم.

إن اللغة العربية دون سائر اللغات ذات صفتين:

دينية . . وقومية . . وهنا يتضاعف واجبنا نحوها ومسئوليتنا عنها .

أن أصحاب اللغات الأخرى ذات الصفة الواحدة أى لغة قومية لأهلها، يرون كما يؤكد العالم اللغوى «بنيامين»: إن اللغة ليست مجرد وسيلة للتعببير عن الأفكار، بل أنها هى نفسها تشكل تلك الأفكار.

ويقول أوسكار وايلد: «إن الأفكار تولد دائماً مكسوة لا عارية» .

ويقول أوسكار وايلد أيضاً: «يكاد النشاط الذكائى الآلى كله يكون مسألة كلمات» .

ويقول واطسون: «إن ما نسميه تفكيراً ليس إلا كلاماً صامتاً» .

ويقول هوبز: «إن المعرفة ما كانت لتأتى إلى حيز الوجود دون اللغة» .

وعند لوك: «إن الحاجة إلى الاتصال هى منبع اللغة» .. وفى اللغة تولد الأفكاربدورها .

ويقول ديهامل فى كتاب «دفاع عن الأدب»: «إن اللفظ فى اللغة تكمن فيه الثقافةالتاريخية» .

إن الشيخ محمد عبده خالف (عزابى) فى البداية، فقد كان رأيه أن الإصلاح ركيزة للثورة، لتقف على أرض صلبة .. ولو أنه عندما صارت ثورة عرابى (حقيقة) لم يتردد مصرى فى الالتزام بها .

وقد دعا الدعوة نفسها فى تونس أى المقاومة بمعنى أن الإصلاح يتمثل فى التعليم على جميع المستويات:

– إصلاح الأزهر وتدريس التاريخ الإسلامى والعالمى فيه .

– تدريس العلوم العصرية .

وقد حقق هذا فى كلية دار العلوم ١٢٩٥هـ - ١٨٧٨م حين عَيّن مدرساً للتاريخ بها.

كان يرى أن الكتابة والتعلم أنجح فى محاربة الظلم الداخلى والاستعمار الخارجى من الثورات والفورات التى يسهل قمعها وإخمادها.

يقول صمويل هانتجتون فى بحثه «صدام الحضارات»: «فى رؤيتى أنه ليست الأولوية للتنمية أو الأيديولوجيا أو الاقتصاد فى إيجاد الحضارات، بل صناعة الطفل، أى التنمية العلمية، وهذه تبدأ من المدرسة الابتدائية».

إن اليابان ليس عندها ما عندنا: النيل والوادى والصحراوان الغنيتان بكنوز المعادن والبحران الأبيض والأحمر.

اليابان ليس عندها ما عند مصر، فكيف نهضت نهضة تفوقت على أمريكا فى كثير من مناحى الحياة ونواحى التقدم؟ وهذا الفرق أحست به أمريكا إحساساً ترجمته فى كتاب «أمة فى خطر».

لقد نظرت اليابان فى أرضها فلم تجد إلا الطفل اليابانى الخامة الواعدة فى كل أمة فاهتمت بتربيته وتعليمه.. لم يعد التعليم قضية تربوية فحسب بل قضية سياسية وأمنية.

إنه سلاح وحل.

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ شلتوت وصفه الأستاذ الزيات بقوله: «كان ذكر الشيخ برياسة العلم وإمامة الدين قد سار فى الآفاق فكان بيته أو مكتبه لا يخلو من الزوار يفدون إليه من الشرق والغرب، سواء فى ذلك المسلمون أو المسيحيون، وتلك عالمية لشيخ الأزهر الشيخ شلتوت لم تتح لأحد».

عاشراً: رؤية موضوعية فى المناهج الدينية

حفظ القرآن الكريم

مبدأ «الاختيار» لا التتابع فى الاختيار حيث نبدأ بآيات الطبيعة الجميلة حرفاً ووصفاً.. الجميلة معنى وصورة، مثل:

(والشمس وضحاها.. والقمر إذا تلاها.. والنهار إذا جلاها.. والليل إذا يغشاها.. والسماء وما بناها.. والأرض ما طحاها.. ونفس وما سواها.. فألهمها فجورها وتقواها.. قد أفلح من زكاها).

ومثل: (والضحى والليل إذا سجا.. ما ودعك ربك وما قلى.. وللآخرة خير لك من الأولى.. ولسلوف يعطيك ربك فترضى.. ألم يجدك يتيماً فأوى.. ووجدك ضالا فهدى.. ووجدك عائلاً فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر.. وأما السائل فلا تنهر.. وأما بنعمة ربك فحدث).

فى هذه السورة توجيه إلى الدماثة أسلوباً للحياة دون وعظ أو إرشاد.

(فأما اليتيم فلا تقهر.. وأما السائل فلا تنهر).

آيات الأخلاق:

ومن الدماثة مراعاة شعور الناس. (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن).

ومن الدماثة، أدب الجدل: (وجادلهم بالتى هى أحسن).

ومن الدماثة، الترفع عن الإساءة بل مقابلة السيئة بالحسنة: (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة.. ادفع بالتى هى أحسن، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم).

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما).

إذن الخطأ جهل يصححه العلم والتبصير. وهو أمل للمخطئ يرده إلى الصواب. ومن الدماثة غض الصوت عند الحديث.

آيات الرياضة: وما يفسرها مثل:

(والعاديات ضبحا.. فالموريات قدحا.. فالمغيرات صبحا.. فأثرن به نقعا).

وما فيها من التنويه بالخيل وركوبها.. وهى رياضة وفروسية ويأتى الحديث فيقول: (الخيل معقود بنواصيها الخير).

ثم قول عمر رضى الله عنه: (علموا أولادكم السباحة قبل الكتابة فإنهم قد يجدون من يكتب لهم ولكنهم لن يجدوا من يسبح عنهم).

فالقرآن الكريم يضع القاعدة.. والمثال..

والرسول يهدى به.. ويهدى إليه. ثم يترك التطبيق.. والقياس.

إنهما من شئون دنيانا التى نحن بها أعلم. الاختيار الهادف هو الذى يغرى بالحفظ لا التتابع.. ثم: الكيف لا الكم.

ففى فاتحة الكتاب وحدها من الرحمة والكرامة ما يبنى الإنسان.

بسم الله الرحمن الرحيم.

له الصفات الحسنى جميعاً ولكنه اختار أن يستهل بالرحمن الرحيم.

الرحمة تشمل الحيوان والكائنات جميعاً (حديث الهرة) التى حبستها صاحبتها لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من رزق الله. ومن الرحمة فى الإسلام: التعاطف.

لقد احتضن الإسلام الفقير والمسكين وعطف الوجدان الإنسانى عليهما.

جعل لهما حقا فى الصدقات المفروضة.

جعل لهما حقاً فى الغنيمة.

جعل لهما حقا فى المال إذا اقتسمه أصحابه بمحضر منهما.

جعل لهما كفارة اليمين.

جعل لهما فدية الإفطار فى نهار رمضان.

جعل لهما كفارة اعتداء المحرم على الصيد.

هذا غير الزكاة.

وهذا كله فى هدوء ولطف مدخل إلى نفوس الأغنياء والفقراء على السواء.

وهذا يبطل عمل التيارات العنيفة وأثرها.

الإسلام جوهر لا شك: إنه أكثر الأديان تنويها بكرامة الإنسان واحتراماً لإرادته وحريته فى التفكير والعمل. (وهديناه النجدين) ويجئ الحديث فيقول الرسول لمن استفتاه مرة بعد مرة: (استفت قلبك وإن أفتوك وافتتوك وأفتوك).

إعلاء للإرادة والضمير. إنه دين العزة والكرامة.. (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين).

حتى كلمة (عبد) فيه، قمة الحرية لأن عبد الله ينتفى معها أن يكون عبداً لغيره ممن خلق من عبيده الآخرين.

العبادات: التنويه والتركيز على جوهر الدين. التقوى الحقيقية عطاء الوجه بشرا، وعطاء اللسان لفظاً عذباً، وعطاء الأذن حسن أستماع، وهو لون من الكرم النفسى، إنه استقبال رأى، التقوى الحقيقية تعنى عطاء اليد فى غير منٍ أو أذى، وعطاء الضمير عدلاً مع الخصوم (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى).

الصلاة فى الإسلام صلة بين العبد وربه. والوضوء وضاءة نفس قبل أن يكون غسيل الوجه واليدين.

رأى عمر أمير المؤمنين، رجلاً يطاطئ رأسه فى الصلاة فعلاه بالدرة قائلا: ارفع رأسك إن التقوى فى الصدر.

سماحة الإسلام وعالميته: إنه الدين الذى انفرد بالاعتراف بالأديان الأخرى وصحابه الرسول منهم: بلال الحبشى، وأبو رافع القبطى، وسلمان الفارسى.

وفى الحديث: (بعثت إلى الناس كافة) بل أبعد من هذا قوله: (ليس لعربى فضل على أعجمى إلا بالتقوى) هذا هو الإسلام.

الفصل الرابع
الأسرة ورؤية الشريعة الإسلامية

أولاً: تربية الابناء.. ليس مجرد تمويل

لا يستقيم حال الأسرة إذا تخلى أحد أركانها وأعمدتها عن دوره، ففى هذه الحالة سيحدث خلل قد ينتهى إلى الانهيار الكامل.

وهذا هو ما يحدث عندما يظن بعض الآباء أو الأمهات أن دوره فى رعاية الأسرة والابناء يقتصر على توفير العنصر المادى، فينخرط فى عمل دءوب ليل نهار ويغيب عن المنزل حتى يأتى يوم يشعر فيه الأبناء بأنه غريب عليهم، وأن هذا البيت مجرد مكان يجمعهم لساعات قليلة قد لا يرى فيها بعضهم البعض إلا فيما ندر.. وقد يلجأ الأب إلى السفر والاغتراب للعمل فى الخارج ليضمن توفير المال اللازم لـ «تربية» الابناء على أفضل مستوى مادى لمجرد توفير مصدر للتمويل.. حول هذه الظاهرة.. أسبابها ونتائجها ورؤية الشريعة الإسلامية السمحة لها . تدور دراستنا فى هذا الفصل على النحو التالى:

توضح دراسة علمية للدكتور جلال أمين الأستاذ بالجامعة الأمريكية أن المصرى حتى نهاية الخمسينيات من القرن العشرين كان يتوجس خيفة من السفر خارج وطنه ويكره الهجرة ولكن منذ الستينيات بدأت هجرة محدودة من المتعلمين وذوى الكفاءات العالية وأصحاب رؤوس الأموال الذين ساءتهم عمليات التأميم وفى منتصف السبعينيات انفجرت موجات الهجرة، ومن بين ٤٠ مليون مصرى فى نهاية السبعينيات كان هناك ٤ ملايين مصرى بالخارج بنسبة ١٠٪ من السكان حيث بدأ التنافس المحموم يشتد على فرص السفر للخارج ثم انفجرت ظاهرة عمل الآباء بالخارج وبقاء الأسرة فى موطنها الأصلى. وزاد حجم الظاهرة بعد ذلك بصورة لافتة للنظر ويمكن القول إن هناك مؤشراً رقمياً لتضاعف ظاهرة العمالة بين الإناث وهو ما أدى إلى غياب الأم لفترات طويلة وقيام الحاضنات كأم بديلة.

وقد بلغت نسبة المرأة العاملة فى البلاد المتقدمة ٣٤٪ أما فى البلاد النامية

فكانت ٢٦ ٪ وفى الدول العربية تقدر مساهمة المرأة بـ ١٨ ٪ من مجموع القوى العاملة فى حين تشكل المرأة ٤٨ ٪ من مجموع القوى العاملة فى اليابان. وتؤكد الاحصائيات التى أعلنها الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء فى مصر أن التوزيع العددى والنسبى للإناث حسب النشاط الاقتصادى بين عام ١٩٦١ وعام ١٩٧١ الفئة العمرية من ١٢ سنة فأكثر قد تزايد إقبال الإناث على العمل فيه من ٤١٨ ألف عاملة عام ١٩٦١م إلى ٥٧٣ ألف عاملة حتى سنة ١٩٧١ بزيادة ٣٦,٧ ٪ وقد حذرت الدكتوره عبلة الكحلاوى الأستاذة بجامعة الأزهر فى بحث بعنوانه (مدى فاعلية دور المرأة إلى الرجل) من تقاعس عن تربية الأبناء ومتابعة دراستهم فأشارت إلى غياب الأبوين خصوصاً الأب مما أدى إلى تفاقم عدد من الظواهر الانحرافية عند الشباب خصوصاً ظاهرة الزواج العرفى بين الطلبة والطالبات وهى الظاهرة التى زادت بصورة خطيرة. وقد قامت باحثة اجتماعية بإجراء بحث ميدانى فى احدى الجامعات الكبرى على عينة من الطلاب فلاحظت حدوث ٣١ حالة زواج عرفى بين ٥١٠ من طلاب وطالبات من الحضر والريف. وأكدت الباحثة أن التوزيع الجغرافى للظاهرة يزيد فى الحضر عن الريف وأنه يزيد فى المدن التى تشهد تصاعداً منتظماً فى عمليات السفر للخارج وغياب دور الأب عن رعاية الأسرة.

(١) النفقة ليست الحق الوحيد

أوجب الإسلام على رب الأسرة واجبات تمثل حقوقاً لافراد الأسرة ابتداء من الزوجة والأبناء ومن أهم هذه الواجبات واجب النفقة حيث الزم الإسلام رب الأسرة بالانفاق عليها وهى تشمل نفقة المسكن والملبس والطعام والعلاج والترفيه والخدمة ونحو ذلك.

أن هذه النفقة تجب على رب الأسرة بحسب قدرته يسراً أو عسراً قال تعالى: (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا) والنفقة ليست الواجب

الوحيد وإنما هناك أيضاً واجب الرعاية والتوجيه لأفراد الأسرة حيث يجب على رب الأسرة أن يرعى أفرادها ويعطيهم من خبرته وآرائه وتوجيهاته بما يكفل لهم دخول معترك الحياة بأمان وسلام ويتمكنون من مواجهة مشكلات الحياة. ويجب على رب الأسرة تربية ابنائه وتعليمهم التعليم الواجب فى الدين والدنيا وأن يجلس معهم ويبادلهم الرأى ويكون لهم قدوة ويجب عليه كذلك المحافظة على أسرار الأسرة سواء كانت أسراراً مالية أو اجتماعية وقد حذر رسول الله ﷺ من افشاء الأسرار الزوجية حيث قال ﷺ (إن من شر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها) ولا يجوز لرب الأسرة أن ينشغل بمصالح نفسه ويترك رعاية أفراد أسرته لان هذا يؤدى إلى هلاكهم وتفشى الأمراض الاجتماعية بينهم قال رسول الله ﷺ (كفى بالمرء اثماً أن يضيع من يعول). كما يجب على الأبوين التعاون فى تربية الأبناء وتنشئتهم نشأة صحيحة فالأب يؤدى واجبه فى ذلك بما يتناسب وطبيعته، والمرأة كذلك تؤدى واجبها فى توجيه أبنائها وبناتها بما يتناسب وطبيعتها لأن الابناء يتأثرون بأمهاتهم ولذلك قال أمير الشعراء أحمد شوقى:

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق

أن من واجبات الزوج علاج زوجته وفقاً لحالته يسراً وعسراً وللزوجة أن تطالبه بهذه النفقة وتلزمه بها حتى لو كان لها ايراد خاص بها. وفضلاً عن ذلك فقد حبب الإسلام للزوج أن يعالج زوجته وله بذلك أجر كبير فقد روى أن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه كان زوجاً للسيدة رقية بنت رسول الله ﷺ فمرضت وظل إلى جوارها حتى تغيب عن غزوة بدر وتألم ألماً شديداً لذلك، فقال النبى ﷺ «أن له أجر رجل ممن شهد بدراً» وهكذا يجعل رسول الله ﷺ كل من يسهر على رعاية زوجته المريضة أجراً عظيماً يعادل أجر من حارب فى غزوة بدر، ومن واجبات الزوج ألا يسب زوجته ولا يشتمها ولا يضربها فقد سأل أحد الصحابة.. رسول الله ﷺ «ما حق زوجة أحدنا عليه؟» قال رسول الله ﷺ:

(تطعمها إذا أكلت وتكسوها إذا أكتسيت ولا تضربها ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت فقط). وبالجملة من حق الزوجة على زوجها أن يعاشرها بالمعروف وأن يعاملها باحسان وأن يحفظ حرمتها ويراعى راحتها وفطرتها وأن يعينها فى خدمة بيتها ويشاركها فى سرورها، وحزنها ويقابلها بطلاقة وبشاشة ويخاطبها برفق ولين ويوسع عليها فى الانفاق ويصون شعورها ويحفظ كرامتها ولا يمنعها عن وصل أهلها ولا يكلفها من الأمور ما لا تطيق وأن يشركها فى المصالح المشتركة كدخل الأسرة ونفقاتها ولا يخفى عنها سراً، وأن يصبر عليها إذا غضبت، ولا يحرمها حقاً مشروعاً لها فى حدود الشرع ويتحمل الأذى عنها. بالإضافة إلى أن للزوج على زوجته حقوقاً تمثل واجبات عليها منها اجلال الزوج وتوقيره وطاعته فى غير معصية وأن تجيب مطالبه العادلة ورغباته الممكنة المعقولة، وأن تشاركه افراحه وأحزانه وأن تحفظه فى ماله وبيته فلا يدخله أجنبى ولا تخرج من بيتها إلا باذنه ولا تتزين لغيره وألا تلح فى طلب مرهق أو يفوق طاقته، وأن تحافظ على كرامة أهله وأن تقوم برعاية أولادهما وأن تعينه ما أمكنها عند مرضه وعجزه وألا تنكر خيره. ولرب الأسرة على ابنائه حق احترامه والالتزام بتوجيهاته وطاعته والاستماع إليه ورعايته ومساعدته عند عجزه وأن يحسنوا إليه فى كبره ويحبوا من يحب ويصلوا من وصل إذا أحسن الرعاية لهم فى صغرهم وشبابهم.

(٢) السلطة الأبوية.. الغائبة

ما هو تأثير غياب السلطة الأبوية كسلطة ضابطة داخل البناء الأسرى؟

إن التنشئة الاجتماعية وبصفة خاصة فى الأوساط الاجتماعية التى تلعب فيها السلطة الأبوية دوراً محسوساً أمر مهم جداً وبالتالى فإن عدم استمرار السلطة الأبوية فى ممارسة دورها كسلطة ضابطة يترك فراغاً تدخل من خلاله مؤثرات أخرى قد تعبث بعملية التنشئة ذاتها وبصفة خاصة إذا أعطيت مساحة كبيرة لجماعة الرفاق دون أن يصاحبها توجيه أسرى ضابط من الأب فإن ذلك يعد

سبباً من الأسباب التى تؤدى إلى انهيار عملية التنشئة من أساسها حيث لا تعرف التوجيهات التى يسير فيها الابناء من خلال جماعات الرفاق والأصدقاء والأقران أو غيرهم دون مراقبة واعية من السلطة الأبوية ولعل هذا يعد سبباً من أسباب الانحرافات السلوكية للأبناء دون تنبيه الأسرة إلى أن غياب السلطة الأبوية بالرغم من حضورها الشكلى – هو السبب المباشر لهذه الانحرافات السلوكية والتى تشمل تغيرا فى الفكر والعقائد والسلوك وما إلى ذلك من الأنماط الضرورية للتنشئة بينما يعتقد الأب أنه قائم بواجباته خير قيام بينما هو يترك دوره الأساسى ولا يقوم بأى توجيه أو إرشاد أو مناقشة وهو يعد سبباً رئيسياً فى عملية الانحرافات السلوكية بكافة أنواعها مع العلم بأن فقدان أى الدورين – غياب الأب أو الأم – يؤدى إلى نفس النتائج لأننا نتعرض بشكل مكثف للغزو الثقافى والفكرى مما يتطلب من الأبوين دوراً أساسياً ومحسوساً لعملية الانتقاء. (غربلة) لهذه العناصر الثقافية بحيث نؤكد على ما يدعم قيمنا وثقافتنا الدينية الأصلية ويحافظ على هويتنا من الانحراف أو الانهيار أمام الغزو الثقافى والتطلعات الكثيرة التى نشأت من هذا الغزو.

(٣) ولى الأسرة.. وملكة البيت

يوصف الأب بأنه «ولى الأسرة» والأم بأنها «ملكة البيت». أن الذى يتخلى عن مسئوليته يكون مخطئاً لأن عليه حقوقاً مادام قادراً حتى يصبح شيخاً فتتحول الحقوق التى عليه لتصير حقوقاً له والمثل فى ذلك رسول الله ﷺ حين ذهب إليه شاب وقال له: أن أبى يأخذ مالى؟ فقال له الرسول: (أنت ومالك لأبيك) فهكذا رتب الإسلام العلاقة بين الولد وأبيه وهو صغير ثم وهو شاب. أما بالنسبة لسفر الأم والأب فهذا تدمير للأسرة والتجربة أثبتت لنا خطورة غياب الأب والأم فى أعمال خارج البلاد وترك الأولاد فى رعاية الآخرين فقد أدى ذلك إلى أنهيار الأسرة بفساد البنات والأولاد إلا فى حالات استثنائية والاستثناء لا يؤخذ به. أن وظيفة الأم لو اقتصرت على الإشراف على البيت فإن ذلك يكلفها جهداً كبيراً ولكن هذا هو ضريبة الأمومة.

على أنه لا صلاح للبيت إلا بقيام الوالد بتربية أولاده تربية فاضلة وأن يكون قدوة لهم لأن الولد يقتدى بأبيه دائماً ونفس الشئ بالنسبة للأم. فالأب هو الولى الذى يرعى كل شئ والأم عليها الرعاية ممثلة فى العناية بالزوج وبالأولاد وتنشئتهم التنشئة الصالحة. فالبيت الذى لا ينظم نفسه تنظيماً إسلامياً لا يكون بيتاً صالحاً، ومن ثم فالتربية الإسلامية هى الأساس الذى لا مناص منه ولابد من التمسك بها فى حياتنا المنزلية والاجتماعية. فلابد للأب أن يصحب ابنه للصلاة ويحبب إليه القيم الجميلة كالصدق والشجاعة وعدم الكذب وعدم الخوف ألا من موطن الخطر وأن يعمل على رفع الكلفة إلى حد ما حتى يصارحه ابنه فى مرحلة شبابه بكل أحواله وينتفع بآراء أبيه وتوجيهاته ولا يخفى عنه أشياء قد تؤذيه أو تضره خوفاً من أبيه ولابد أيضاً أن تصنع الفتاة مع أمها صناعة الفتى مع أبيه وأن يقترب كل من الأم والأب إلى أولادهما إلى أن ينلقوا عنهما فى مرحلة البلوغ حمل التكاليف والمشورة فلابد أن تظل الصلة مستمرة بالوالدين بعد استقلال الأبناء بحياتهم، وأن يرعوا الوالدين فى كبرهما كما رعياهم وهم صغار.

(٤) حقوق الأبناء.. تبدأ من عقد الزواج

هل يقوم الأب بدوره فعلاً تجاه الأبناء وما الضوابط الشرعية لتنظيم العلاقة بين الآباء والأبناء؟ وهل يجوز السفر بدون رضا الزوجة؟

هذه الاسئلة نجيب عنها بالقول أن عقد الزواج من العقود التى يترتب عليها حقوق وواجبات فللزوج بموجب هذا العقد بعض الحقوق التى يجب أن يستوفيها من زوجته ومن ثم تكون له حقوق على الأبناء فيما بعد كما أن هذا العقد يفرض عليه واجبات والتزامات نحو زوجته ونحو أبنائه فلا يجوز لطرف منهما أن يخل أو يقصر فى التزاماته نحو الآخر. أما ما يحدث من بعض الأسر من شقاق وخلاف فإن ذلك مرجعه إلى قصور أحد الطرفين أو كليهما فى تنفيذ التزاماته التى أوجبها الشرع عليه.

أننا إذا بحثنا عن جذور أى مشكلة بين الزوج والزوجة أو بين الأبناء والأباء فان مرجع ذلك هو عدم التربية الاسلامية الصحيحة فلو نشأ الزوج نشأة إسلامية صحيحة وعرف ما عليه من واجبات وكذلك الزوجة لقام كل منهما بواجبه نحو الآخر كما أنهما لو أحسنا تربية الأبناء طبقاً لقواعد الشريعة الإسلامية لنشأ الأولاد نشأة طيبة وكانوا بارين بآبائهم وأمهاتهم ولكن ما نلحظه فى هذا العصر الذى طغت عليه الماديات هو أن الرجل أصبح مشغولاً بأموره الحياتية وأصبح شبه مغيب عن واجباته الأسرية وكذلك الحال فى كثير من الأمهات اللاتى أنشغلن بأنفسهن وببعض الأعمال والوظائف وأصبح شغلهن الشاغل هو البحث عن الترفيه والسعى إلى الوظائف الأعلى ناسية أو متناسية الواجب الأسمى الذى حدده الشرع الإسلامى ومرجع كل ذلك انشغال الأب والأم عن المهمة الكبرى التى أولاهم الله اياها بمقتضى هذا العقد فالتربية مسئولية كبيرة فقد قال ابن القيم الجوزية (إن الله سبحانه وتعالى يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده) فإنه كما أن للأب على ابنه حقاً فللأبن على أبيه حق قال تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) فمن أهمل تربية ولده وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الاساءة وأكثر الأولاد الفاسدين إنما جاء فسادهم بسبب الآباء واهمالهم لهم فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا. قال الإمام النووى (إن على الأب تأديب ولده وتعليمه ما يحتاج إليه من وظائف الدين وهذا التعليم واجب على الأب وسائر الآباء ومن المعلوم أن ما أفسد الأبناء مثل اهمال الأباء من تأديبهم وتعليمهم ما يصلح دنياهم واخرتهم وتفريطهم فى حملهم على طاعة الله وزجرهم عند معصيته واعانتهم على شهواتهم. يحسب الأب أنه يكرمه بذلك وقد اهانه وأنه يرحمه وقد ظلمه وحرمه ويفوته انتفاعه بولده ولم يحصل على حظه فى الدنيا والآخرة. هل يحق للزوج السفر بدون إذن زوجته؟ من واجب الرجل أن يسعى إلى جلب الرزق لزوجته وأولاده ولكن بشرط ألا يلحقهم أى ضرر من جراء ذلك فالزوج الذى يسافر مدداً طويلة تقدر

بالسنوات دون رغبة زوجته فإن هذا مخالف لشرع الله عز وجل ومن حقها فى حالة السفر الطويل إذا لم توافق عليه أن تطلب من القاضى الطلاق للضرر وهذا حقها الشرعى ومن هنا نلاحظ أن موافقة الزوجة على سفر زوجها تتضمن اسقاطاً لهذا الحق الشرعى فإذا لم توافق على السفر ظل هذا الحق قائماً ولها أن تطلب من القاضى التفريق بينهما وبين زوجها للضرر.

وأخيراً فإننا ننصح من يريد السفر للخارج لجلب الرزق أن يرتب بيته من الداخل أولاً وأن تكون الزوجة راضية عن هذا الأمر وقادرة على شغل الفراغ الذى يتركه الأب بالنسبة لتربية الأولاد وإلا إذا لم تكن عندها المقدرة فسفر الرجل هو تخريب لمستقبل أبنائه وليس فى صالحهم!

(٥) خلل تربوى .. ضحيته الأبناء!

لاشك أن الرصد الأمين لتطورات البيت المسلم ومنحنيات مساره المعوج يكشف عن عدة أوجه للقصور فى العلاقات والأدوار داخل الأسرة مما يؤكد أن هناك خللاً تربوياً هائلاً يعانيه كثير من الأسر وبروز ظواهر مؤرقة للضمير الإسلامى مثل ظاهرة (عبدة الشيطان) التى روعت مصر قبل سنوات ثم استفحال خطر ما يسمى «بالزواج العرفى» بين الطلبة الذى لا يزال يروع الأسر ويفجعها فى ابنائها وبناتها. أن هذا الخلل التربوى الذى قذف بأبنائنا فى مستنقع التسطيح والضياع أو التفسخ الأخلاقى يرجع أولاً إلى أن مقعد (الأب المربى) أصبح شاغراً ليحل محله (الأب المورد) الذى تقتصر مهمته على (توريد) وكأنه حقوق التنشئة والتوجيه الرشيد وتهذيب السلوك (واجهة ديكورية) فارغة تزدان بها صفحات الكتب ويتساءل: هل نسي هؤلاء الآباء النازحون إلى الخارج تاركين أولادهم للمجهول أنهم مفرطون فى أمانة التربية؟ وقد أثبتت الدراسات البيولوجية والنفسية أن مشاعر المودة والرحمة تنمو فى جو الأسرة الواعية لدورها التربوية وينعكس ذلك بشكل أفضل مما تنمو فى أى نظام آخر لذا تكون الشخصية (المعتدلة) التى تنمو فى هذا المحيط خيراً من غيرها من أى محيط آخر.

(٦) التمويل وحده .. نتيجته الفساد

إذا اقتصر دور الأب على التمويل فقط فانه يمد أولاده بأسباب الفساد والضياع، أن هذا الأب يظن أنه يقوم بدوره نحو أولاده ولكن كثيراً من الآباء عندما عادوا وجدوا أبناءهم قد وصلوا إلى قمة الضياع فلما حاولوا اصلاح ما حدث لم يستطيعوا والأمثلة كثيرة ومنها رجل كان يعمل بالخارج أخذ زوجته وابنته معه وترك ابنه وحده وكان طالباً بالجامعة ولما فكر أن يرسل إليه أمه لتساعده فى فترة الامتحانات لم يرحب بها الابن وتركها فى المطار وهذا نتيجة أن الفساد تمكن منه حتى فى مشاعره وعلاقته الأسرية وهناك أب أخر كان لديه ابن وحيد وتركه أيضاً ولما عاد بعد فترة وجد هذا الابن فاقدا الذاكرة لأنه انغمس فى المخدرات وكل هذه المساوئ سببها ارتكاب خطأ للبحث عن المال ولو بالتضحية بتربية الابناء وحتى لو سافر الأب وحده أو غاب عن البيت طوال الوقت فان الأم وحدها لا تكفى لأن الولد يعيش معظم وقته خارج البيت والأم لا تستطيع أن تراقبه أو تتابعه ولذا فان تربية الأولاد ليست بالتركيز فقط على بناء الجسم وإنما هى تربية متكاملة للجسم والأخلاق والسلوك والابن الذى يتلقى تربية حسنة يستطيع أن يحافظ على نفسه وأهله وماله ويكون مسئولاً عن كل أمور حياته. أما الابناء الذين نهمل تربيتهم وتقويم سلوكهم فانهم يضيعون الثروات فى يوم وليلة ويكون مصيرهم الضياع والذى غرسهم فيه اباؤهم.. فلابد من اجتماع الدورين وتكاملهما لأن الأسرة تنشأ من خلال عينين وعقلين هما الأب والأم ولا يستطيع البيت أن يؤدى دوره بعين واحدة وعقل واحد فكما نطالب بعودة دور الأب فاننا نطالب أيضاً بدور الأم بالنسبة للذكور والاناث معاً فالأم والأب قد يكونان ضحية للطمع والجشع فتصبح اسر ضحية لهما أيضاً ومعظم الأسر التى لم يفارقها عائلها تمكن فيها الأب من تربية أولاده وبناته تربية حسنة دون أن يهاجر أو يغادر إلى بلد آخر إنما هو الطمع الذى يدفعه إلى هذه الغربة بحثا عن المال ولو كان لابن آدم واد من ذهب لتمنى أن يكون له واد ثان. ولو أن الآباء اقتصروا على تحسين الحالة فعملوا بعض الوقت فى

الخارج ثم عادوا واكملوا رسالتهم التربوية لكان ذلك امراً محموداً لكن بعض الآباء ومنهم من يقدم استقالته في بلده ليواصل العمل فى الخارج وهؤلاء جمعوا ثروات بالفعل ولكنهم ماتوا قبل أن يتمتعوا بها. فنحن فى حاجة إلى التنظيم الاقتصادى المنزلى وساعة واحدة يجلسها الأب بين أولاده أغلى من قناطير الذهب والفضة.

(٧) تمرد الأبناء على الأم.. أخطر نتيجة!

أن غياب الأب ودوره يؤثر بصورة سلبية على الأبناء تأثيراً ضاراً حيث إن الدور الأبوى يأخذه الولد عن أبيه باعتباره المثل الأعلى والقدوة واكتساب السلوك ومن ناحية أخرى فإن الرعاية والمتابعة فى سن معينة خاصة فى جميع مراحل العمر وهنا لابد من وجود الأب فى الأسرة وبالذات فى مرحلة البلوغ والمراهقة حتى يعطيه تعليمات معينة لأن اختفاءه يجعل المراهق يبحث عن المعرفة من الخارج فيضطر إلى أخذ المعلومة من الخارج مما يشوه الصورة لديه من ناحية أخرى مثل التربية الجنسية التى يحتاجها الولد من أبيه. ولابد لكل أسرة من قائد مهيمن وله وضعه، فالأم لا تستطيع أن تقوم بهذين الدورين فى وقت واحد. ولذلك لابد أن هذه القوة تحدث توازناً وللأسف الشديد إذا انعدمت هذه القوة ينعكس على الأم من ابنائها بأن يتمردوا عليها ويبحثوا عن الدور القيادى فى شخصية أخرى من جماعات منحرفة أو مخدرات أو الجريمة بصورها المختلفة.
فالأم عندما تفتقد هذا الدور فى حياة أولادها وأسرتها فإنها من الممكن أن تتعرض لطمع الرجال الآخرين فيها وهذا لا يقبله الشرع ولا القانون. فهناك أنانية أخرى من قبل الزوجين بأن يرسل الرجل المرأة إلى الخارج لتجمع المال للأسرة وبعد ذلك تفاجأ بأنه تزوج بمالها وفى مكانها ونؤكد أنه لابد أن يكون لدينا سلوك الإيثار والتضحية من أجل الأسرة.

ثانياً: انفاق المرأة.. هل يعطيها حق القوامة؟

أصبحت مشاركة المرأة فى نفقات الأسرة واقعاً، بل وضرورة، فلم يعد الرجل وحده قادراً على الانفاق المادى وتلبية احتياجات أفراد أسرته فى ظل الظروف الاقتصادية التى نعيشها.. ولكن هل انفاق المرأة على البيت يعطيها حق القوامة ويسلبه من الرجل؟

هل تصلح المرأة للقوامة؟ وماذا لو تنازل الرجل عن هذا الحق طواعية أو لضعف شخصيته؟!

ما أساس جعل القوامة من نصيب الرجل وليس المرأة؟ هل هو نوع من التفضيل أم المسئولية؟! وهل هناك أغراض خبيثة لدعوى البعض بأن تكون القوامة من حق المرأة خاصة أنها قد تنفق على البيت أكثر من زوجها؟ هذه الاسئلة وغيرها سنحاول الاجابة عنها بالتفصيل فى السطور التالية:

(١) معنى القوامة.. فى اللغة والشرع

أن القوامة فى اللغة العربية مأخوذة من لفظ «القيَام» وهو عكس الجلوس وهى تعنى بذلك الوقوف والثبات وقد تأتى بمعنى المحافظة والاصلاح ومنه قوله تعالى (إلا ما دمت عليه قائما) أى ملازماً ومحافظاً. ويختلف المعنى وفقاً للتعريف الشرعى للقوامة حيث تعتبر قيام الزوج بالإنفاق على المرأة والدفاع عنها وعن الأسرة ضد أى خطر يواجهها ويذكر الإمام المراغى فى تفسيره لتعريف القوامة. «أنه من شأن الرجال أن يقوموا على أمر النساء بالحماية والرعاية ولذا فإن القيام - الذى هو القوامة - يستلزم الرئاسة، إذ لا معنى للقيام إلا بالإرشاد والمراقبة ويشمل ذلك حفظ المنزل والإنفاق عليه وفقاً لقدرته وميسرته وعلى المرأة أو الزوجة أن تسير على ما يرضى الزوج ويناسب حاله سعة أو ضيقاً وألا تكلفه فوق طاقته من انفاق». أن القاعدة الشرعية فى هذا الأمر ثابتة لا تتغير بتغير الزمان أو المكان فلا يجب أن ننكر أن القوامة حق للرجل

ولكن بعد خروج المرأة للعمل ومشاركتها فى نفقات البيت وحصولها على الدرجات العلمية وشغلها للمراكز الاقتصادية والاجتماعية مما جعلها تقترب أو تتساوى مع الرجل فلا مانع إذن من أن تشارك المرأة الرجل القوامة فى البيت ولكن بشروط موافقته أما إذا حدث خلاف بين الطرفين فلا ينبغى أن يصل هذا الخلاف حول هذه القضية إلى درجة إعتبارها حرباً أو صراعاً بين الطرفين، وإنما يجب أن يتم ذلك بالتفاهم والحوار والمشاركة الايجابية حماية لصالح الأسرة وتحقيق احترام الزوج وعدم أهانة كرامته أو التقليل من مكانته وشأنه فى الأسرة. أنه إذا كان الواقع الذى نعيشه فى زمننا المعاصر يستلزم من الزوجة أن تذهب إلى العمل وتشارك الرجل فى نفقات البيت وتتحمل معه مسئولية الانفاق فلا مانع من أن تقوم بذلك وأن يتحمل الزوجان المسئولية معاً كل على قدر عطائه ولكن لا يجوز بحال من الأحوال أن تنفرد المرأة بالقوامة فى حالة وجود الزوج لأن ذلك يسبب خللاً فى المجتمع الإسلامى ولا يجب على المرأة المسلمة العاقلة أن تنساق خلف الدعوات العلمانية الهدامة التى تنادى بالمساواة المطلقة مع الرجال لأن كلا منهما له طبيعته وقدرته وامكانياته التى خلقه الله بها مما يجعل قيام أحدهما بدور لا يناسبه سبباً للهلاك والإفساد فى المجتمع المسلم.

(٢) سحب القوامة من الزوج يدمر الأسرة

أن قوامة الزوج على الزوجة أو الرجل على المرأة ليست محصورة فى النفقة فقط وإنما فى تفضيل الله تعالى الرجل على المرأة فى كثير من الأمور والأعمال والمهام مثل الخروج للجهاد والحياة العملية فالأصل أن القوامة للرجل فى جميع الحالات وفى ذلك يقول تعالى «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم..» الآية، وكون الزوجة أصبحت تشارك الحياة مع الرجل وتعمل معه جنباً إلى جنب وتشارك فى النفقة على البيت نتيجة خروجها للعمل فهذا لا يلغى قوامة الرجل عليها.

أن القوامة مصدرها الاحترام المتبادل بين الزوج والزوجة ولا تستقيم الحياة

الزوجية إذا نافست الزوجة زوجها على القوامة أو تحاول أن تسحبها منه أو تقلل من شأنه فى البيت، أمام الأولاد نتيجة مشاركتها فى النفقة ومصروف البيت فكل ذلك يفقد احترام الأولاد له لذلك ينبغي على الزوجة الصالحة أن تفهم وتعيش مع زوجها على أساس أن القوامة له وأنها ليست فى المال فقط وانما هى فى أمور أخرى أهمها طاعة الزوجة لزوجها واحترامها له وحفظها له فى نفسها وماله وعرضه وهذا أمر واجب عليها شرعاً حتى ولو شاركت فى مصروف البيت.

وأنه إذا لم تلتزم المرأة والزوجة المسلمة بهذه الضوابط التي قررها الشرع فى الحفاظ على الأسرة ولم تقم بدورها ووظيفتها ومسئوليتها المكلفة بها شرعاً تجاه زوجها وأسرتها، وسارت وراء الدعوات العلمانية والغربية وأصبحت ندا لزوجها لفقدت الأسرة كل المعانى السامية المبنية على الاحترام والتقدير والاستقرار.

ونحن نرفض الدعوات التى تجذب الأسرة المسلمة إلى الانهيار وتصديق الدعوات الباطلة إلى المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة كما نرفض أن يكون العامل المادى هو المسيطر على العلاقات الزوجية فيصبح من ينفق أكثر من البيت يكون له الاحترام والطاعة وعلى الطرف الآخر أن يقدم مزيداً من التنازلات فليس من المقبول أن تطالب الزوجة زوجها بأن يرفع يده عن إدارة البيت أو اتخاذ قرار فيه بدعوى أنها تنفق أكثر منه فى البيت وان راتبها أكبر من راتبه فهذا يتعارض تماماً مع نصوص القرآن والسنة ومخالفة كبرى لشرع الله.

(٣) لا .. للإنسياق للدعوات الغربية المغرضة

أن الرجال والنساء ليسوا فى صراع أو ندية حتى يتنافسوا أيهما الأفضل أو الأجدر لأنهما خلق لله، وهما سواء فى الحقوق والواجبات وحينما كلف الله تعالى الرجل والمرأة جعل مناط التكليف ما أودعه الله فى كل منهما فهو سبحانه أعلم بإمكانات كل منهما وقدرته وكفاءته على تحمل المسئولية وعلى ضوء هذه

الامكانات والقدرات جعل الله القوامة فى الأسرة للرجل فهو الذى تتفق ملكاته وتنسجم وظيفته معها. فلو اجتمع كل الرجال ليسدوا مكان امرأة فى وظيفتها ومهمتها الأساسية التى خلقها الله لها ما استطاعوا.. ولو أن كل النساء أرادت القيام بواجب رجل واحد ما استطعن. لكن نرى من الرجال ما يضارع النساء فى الحنو واللين وقد نرى من النساء من تتفوق على الرجل صلابة وبأساً وشدة لكن ذلك استثناء لا حكم له.

أن اشاعة جو البهجة وتأصيل أسباب السكنى وتحقيق ابعاد المودة والرحمة بين الزوجين وإعداد الفرد الصالح مهمة عظمى لا يمكن أن تؤدى على الوجه الأكمل إذا غاب دور المرأة فيه أو غيبت عنه لذلك كان قرار المرأة فى بيتها لا يرى قيمته إلا من أدرك عمق وظيفتها وخطورة واجبها وهذا اللين والحنو لا يتماشى مع الصرامة والجد لذلك لم يجعل الله لها القوامة لتظل اشراقة الأمل وواحة الحب فى بيتها. فالذين يؤججون نار الصراع بين النساء والرجال أو الذين يطالبون بالمساواة المطلقة بينهما أو ينادون بخروج المرأة بلا ضابط أو رادع إنما هم اعداء أنفسهم وأعداء الانسانية جمعاء وندعو إلى عدم الأنسياق وراء أعداء الانسانية واتباع الحضارات المغايرة الذين يسيرون وراء كل دعوة فاسدة منحلة.. ولو أن هؤلاء استمعوا إلى أصوات العقلاء من الغربيين النساء قبل الرجال وكيف أنهم يشكون ضياع الأسرة وتفكك روابطها وانعدام جو البهجة والامان فيها بسبب فقدان المرأة والرجل دورهما.. لرحموا أنفسهم ومجتمعاتهم من استيراد أفكار بالية.

(٤) جميعات التحريض ضد الرجل!

أن أسباب السعى إلى حرمان الرجل من القوامة بدعوى أنها استعلاء من الرجل على المرأة أو الزوج على الزوجة والأولاد مع أن الحقيقة هى أن القوامة مسئولية مقابل تحمل أعباء يقوم بها الرجل، وقوامة الرجل على المرأة هى واقع مقرر وقائم ومسلم به فى المجتمعات الإسلامية منذ قديم الزمان إلا أن المجتمع

تعرض لعدة تغيرات اجتماعية وثقافية مما أدى إلى تغير العلاقات الاجتماعية والأسرية خاصة بين الزوج والزوجة مع وجود بعض الجمعيات والمراكز التى انتشرت في عدد كبير من المجتمعات الإسلامية والمدعومة من جهات غربية وأجنبية تطالب المرأة بالمساواة الكاملة مع الرجل والتعامل معه بندية وتنافس فى كل مواقع العمل وفى البيت فأصبح صوت المرأة يرتفع على الرجال فى البيت كما أصبحت ترفض طاعة الرجل أو العمل تحت قيادته مما أفرز العديد من المشكلات الاجتماعية الجديدة على مجتمعاتنا الإسلامية ومنها منازعة الرجل على القوامة فى البيت. إنه منذ بدأت المرأة تطالب بدور أكبر من مجرد الحصول على حقها فى التعليم والعمل اشتعلت معركة وهمية بين المرأة والرجل ورحبت وسائل الاعلام المحلية والأجنبية على استمرار نار المعركة مشتعلة لتعميق الخلافات واستغلت أجهزة ومؤسسات دولية الموقف لتغيير ثقافة العالم الإسلامى نحو النموذج الغربى الذى لا يريدون لنا به الاستقرار أو السكينة أو المودة التى يشيعها الإسلام فى مجتمعاتنا لذلك كان تركيزهم على تدمير الأسرة فصدروا لنا مفاهيم وممارسات تبنتها مؤسسات واندية ومحطات وصحف وأجهزة اعلام غربية وبثتها فى الأفلام والدراما والمسلسلات والأحاديث اليومية حتى اعتدنا على أن نسمع عن الصديق والصديقة وزواج الشواذ وغير ذلك من الانحرافات الأسرية ومما ساعد على انتشار الأمراض السلوكية واحداث خلل فى المفاهيم وهو اننا ابتعدنا عن الفهم الصحيح للدين وانبهرنا بالنموذج الغربى. ونلاحظ أن هناك بعداً فى هذه القضية هى أن سوق العمل أصبح مفتوحاً على مصراعية أمام المرأة فى مقابل أغلاقه أمام الرجل مما أصبحت المرأة وسيلة الكسب الوحيدة أمام الرجل وأصبح يعيش على راتبها وكسبها مما صعب دور الرجل وفرغ دوره القوامى من مضمونه.

إذا سادت المرأة فعلى المجتمع السلام لأن المرأة عاطفية ولا تستطيع أن تحكم العقل فى كل المواقف والحياة فى أغلبها لا تعتمد على العاطفة فقط وإنما على رجاحة العقل أيضاً فالقوامة هى مزج بين الاثنين، وهذه دعوة إلى

الرجال لأن يهبوا ويستعيدوا مكانتهم ودورهم لا بالشعارات أو العضلات وإنما بالمزيد من الجهد والعمل وتحمل المسئولية، لأنه إذا تكفل الرجل ببيته وأدى ما عليه من واجبات من ضروريات الحياة لسلمت المرأة له بالقوامة، وعلى المرأة أن تفهم أن التكامل والتفاهم والتعاون بين الرجل هو أسلم طريق للحفاظ على البيت.

(٥) لا تصلح المرأة لهذه الأسباب

أن المرأة لا تصلح للقوامة لأسباب شرعية وصحية ونفسية وبيولوجية وجسدية إن هناك فروقاً بين المرأة والرجل من الناحية البيولوجية والجسدية تجعل الرجل هو الأقدر على تحمل المسئولية، أن المرأة حينما تطالب بالقوامة فانها تطلب أمراً يتناقض مع فطرتها وتكوينها البيولوجي لأن الله تعالى خلق وصور الرجل والمرأة ليقوم كل بدوره وفي حدود مسئولياته وقدراته الجسمانية فالرجل خلقه الله للمهام الصعبة تحقيقاً لصلاح الأسرة واستقرار المجتمع.

وأن التركيبة الجسدية التي خلق الله بها المرأة تختلف عن هيكل وتركيبة الرجل وفي ذلك يقول تعالى «وليس الذكر كالأنثى» لذلك فمن ينادي بالمساواة المطلقة بين الرجال والنساء سواء في الغرب أو الشرق هم مخطئون وما ينادون به باطل لأنه يتنافى مع الفطرة الإلهية والعقل السليم والمنطق الراجح فهذه سنة الله لا تبديل فيها قال تعالى «ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً».

والأسباب التي يقوم عليها عدم صلاحية القوامة إلا للرجال لأنه لا يصلح لإدارة أمور الأسرة والبيت إلا الرجل فهو أقل اندفاعاً وأكثر تحملاً للمسئولية كما أن القوامة ليست تشريفاً له وأنما هي تكليف بقدر ما يتحمله من المسئولية والمشاق والأعباء كما أنها تستلزم الصبر وتحمل الأذى والانقياد إلى الحكمة ورجاحة العقل كما تتطلب الصرامة ومواجهة المواقف بحزم وكل ذلك لا يتفق مع طبيعة الرقة والحنو التي تكون عليها غالبية النساء.

أما القلة من النساء اللاتى يحاولن السيطرة والتسلط على البيت وسحب القوامة من الزوج بدعوى أنه قد يكون ضعيف الإرادة أو الشخصية فهؤلاء يقتلن فى الرجل رجولته ويصنفنه ضمن أشباه الرجال. والواقع أن هؤلاء النسوة وإن ظهرن كنساء حديديات لا ينكسرن فإننا نجدهن تعيسات لا يشعرن بالسعادة لأنهن يقمن بدور ليس دورهن ومسئولية ليست مسئوليتهن.

أن الغرب واعداء الاسلام هم الذين يشعلون الحرب بين الرجل والمرأة ويريدون أن يكون هناك صراع بين الجنسين خاصة فى الدول العربية والاسلامية لأنهم يريدون أن يشوهوا النموذج الاسلامى ويجعلونه ممسوخاً وفاشلاً كما فشلت أنظمتهم وعلاقاتهم الأسرية إلا أننا نقول لهم أن دعواتكم المسمومة التى تسعى إلى فرض قوامة المرأة على الرجل والزوجة على الزوج فى البلاد الاسلامية مرفوضة لأنها تتنافى مع الخطاب الإلهى.

(٦) إنفاق المرأة.. تطوع

إن القوامة تشمل التوجيه والإرشاد والتعليم وكل هذا واجب على الرجل. كما أن قيام الزوج بالإنفاق على الزوجة والأولاد يعطيه حق القوامة عليهم.

أن المرأة أو الزوجة ليست مطالبة شرعاً بالإنفاق على البيت وأن فعلت ذلك يكون تطوعاً منها وعوناً لزوجها ولا يجوز للزوج أن يكره زوجته على أن تنفق على البيت لأن انفاقها على البيت والأولاد لابد أن يأتى عن رضا وتسامح منها وذلك لأن انفاقها ليس واجباً وانما هو واجب شرعاً على الزوج ولذلك منحه الله سبحانه وتعالى ميزة وحق القوامة عليها. هذا بالإضافة إلى أن الله منح الزوج حق القوامة على زوجته من حيث إن الرجل منح زوجته صداقاً لزواجها والمرأة لا تمنح الرجل صداقاً لأنه هو الذى يختار ولذلك يتميز الرجل على المرأة بحق الرعاية وحق القوامة عليها.

وندعو كل النساء والزوجات المسلمات إلى رفض الدعوات الهدامة التى تتستر وراء المناداة بالمساواة المطلقة مع الرجال والاصرار على منافسة الرجال

فى أعمالهم ووظائفهم وأدوارهم وخاصة فى حق القوامة أن هذه القوامة حق للمرأة فى حالة عدم قدرة الزوج على الانفاق لمرض أو عجز مع العلم بأن مشاركتها أو انفاقها فى هذه الحالة أيضاً ليس على سبيل الوجوب وانما على سبيل التطوع وعلى الأزواج أن يوفروا كل سبل الراحة للزوجة وعليهم تدبير كل ما تحتاجه الزوجة من أجهزة حديثة لتعينها على أداء مهمتها فى البيت وذلك وفقاً لقدرة الزوج على الانفاق بما يتناسب مع مستواه الاقتصادى وبالتالى لا يجب على المرأة أن تكلف زوجها فوق طاقته أو تطالبه بأكثر من قدرته لأنها تكون فى هذه الحالة آثمة وتستحق عقاب ربها. وكذلك الحال إذا قصر الزوج فى توفير هذه المتطلبات إذا كان قادراً عليها فإنه يأثم ويستحق عقاب الله. فينبغى على الزوج والزوجة أن يتفاهما ويتعاونا ويتكاملا دون أن يجور أحدهما على الآخر.

(٧) هل يجوز تنازل الرجل عن القوامة؟

لا يجوز للزوج أو الرجل أن يتنازل عن القوامة للمرأة لأن ذلك يؤدى إلى وضع كل منهما فى غير موضعه الطبيعى الذى رتبه الله تعالى لاصلاح الأسرة.

أنه فى حالة ضعف شخصية الزوج وعدم قدرته على تحمل المسئولية كاملة فى البيت نتيجة ظروف نشأته فانه لا يجوز للزوجة أن تنفرد بقوامة وقيادة البيت واتخاذ القرار أو تلغى دور الرجل وإنما ينبغى عليها فى هذه الحالة مباشرة مسئولية الأسرة من خلال زوجها واستشارته فى كل كبيرة وصغيرة وأن تحترم رأيه. ذلك أن الاسلام قضى بأن تكون المرأة فى كفالة رجل دائماً بداية من أبيها إلى أخيها إلى زوجها ثم إلى أبنها إذا مات الزوج أو إلى زوج آخر وكل هؤلاء يتحملون مسئولية المرأة. أما سيطرة النساء على الرجال فهو أمر شاذ لا يقاس عليه فالمرأة التى تفعل ذلك ليست امرأة طبيعية وتفعل ذلك نتيجة ظروف اجتماعية ونفسية معينة جعلت منها شخصية متسلطة وقوية وحديدية وترفض أن تنقاد لأحد حتى ولو كان لابيها أو زوجها. أن الواجب على القيم وهو الرجل

الرعاية الكاملة لشئون الأسرة من زوجة وأولاد وتلبية حاجاتهم الأساسية والفردية من مسكن ومأكل ومشرب وعلاج وتربية وتقويم الاعوجاج الخلقى والسلوكى داخل الأسرة وحمايتها من كل الاخطار والتحديات ومن أهم حقوقه الاحترام والتقدير والطاعة من الزوجة والأولاد فإذا خالفت الزوجة ذلك. فستكون النتيجة أسرة مهددة بالضياع والتشريد والانهيار.

(٨) ضوابط خروج المرأة للعمل

قرر العلماء أن عمل المرأة يقتضى أن يكون فى اطار بعض الضوابط أهمها أن تكون هناك ضرورة تدعوها للخروج إلى العمل كأن يكون هناك ضيق فى رزق الرجل أو أن يكون الزوج مريضاً مرضاً لا يقوى على العمل معه، أو لا يكون هناك دخل أو كسب للأسرة بعد وفاة الزوج وأن يكون هذا العمل الذى تخرج إليه مناسباً لطبيعتها وأن تأمن الفتنة عليها أو منها، فإذا خرجت المرأة إلى العمل بهذه الضوابط فلا مانع من عملها أو انفاقها فى البيت بحيث لا يكون الهدف من هذا العمل أو هذا الإنفاق هو المنافسة أو الندية أو أن تجور على حق الرجل فى القوامة وإنما لتساعده فى أداء واجباته، أن إدارة البيت والانفاق عليه سواء كان من مال الرجل كاملاً أو بمشاركة الزوجة شئ والقوامة شئ آخر ذلك لأن القوامة تعنى أن يكون الرجل له كلمة فى بيته وأن تكون كلمته وشخصيته موضع احترام من المرأة وأن تربى أولادها على احترام والدهم، ولا يقلل من شأن الرجل أو الزوج أن تدير الزوجة البيت أو تختار له ملابسه فهذا أمر والقوامة شئ آخر. إذا خرجت الزوجة عن هذا الإطار، ولم تقدر الزوج وتحترمه وتربى فى أولادها احترام كلمته وتطيعه طاعة تامة فى غير ما حرم الله كانت ناشزاً ويجوز للزوج أن يعاقب زوجته الناشز إلى أن تعود إلى رشدها بحيث يبدأ أولاً بالنصح والوعظ، وثانياً بالهجر فى الفراش وثالثاً بالضرب غير المبرح وفى ذلك يقول الله تعالى «واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن».

الفصل الخامس
الفساد وأيدى الناس

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون﴾ (الروم ٤١).

يقول الاستاذ الدكتور زغلول النجار، من الدلالات العلمية للنص الكريم، ما يلى:

أولاً: الافساد المعنوى فى الأرض:

الإفساد لغة: هو إذهاب ما فى الشيء من نفع وصلاحية والفساد هو خروج الشيء عن حد الاعتدال والصلاح ولكل من الفساد والإفساد معناه المادى الملموس فى البيئات الفطرية ومدلوله المعنوى الضمنى لسلوك الإنسان فى البيئات الاجتماعية.

ويتجسد الفساد المعنوى فى فقد الإنسان لقدرته على تحقيق رسالته فى هذه الحياة: عبداً لخالقه – سبحانه وتعالى – يعبده بما أمر ومستخلفاً فى الأرض من قبل هذا الخالق العظيم ليحسن القيام بواجبات الاستخلاف فيها بعمارتها وإقامة شرع الله تعالى – وعدله فيها. وبإنعدام فهم الإنسان لهذه الرسالة تفسد عنده المعتقدات وتنحرف العبادات وتنحط الأخلاق والسلوكيات والمعاملات وتضيع القيم والحقوق وتفسد الأنظمة والمجتمعات ويفشل الإنسان فى القيام بواجباته فى هذه الحياة فيظل تائها حائراً فيها حتى يخرج منها صفر اليدين من الحسنات مثقلاً بالذنوب والتبعات قد ضيع كلا من دنياه وأخراه سدى وليس هنالك إفساد أخطر من هذا الإفساد. وذلك لأن الإنسان مخلوق عاقل مكرم مكلف ذو إرادة حرة فإذا صلحت إرادته صلحت حياته وصلح مجتمعه وإذا فسدت إرادته فسدت حياته ومجتمعه وملأ الأرض من حوله فساداً وظلماً وجوراً. ومن صور هذا الفساد ما يلى:

١ – فساد الاعتقاد:

والذى يظهر فى العديد من صور الكفر أو الشرك بالله – تعالى – التى تعم

مختلف جنبات الأرض اليوم والله – تعالى – خلق كل شيء في ثنائية واضحة (من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان) حتى يبقى ربنا منفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقة ثم إن الله سبحانه وتعالى – خلق كل خلقه على نمط واحد حتى يشهد خلقه له بألوهيته وربوبيته وخالقيته ووحدانيته وبمغايرته لخلقه مغايرة كاملة ومن هنا كان الكفر بالله – تعالى – أو الشرك به مخالفاً لأول حقوق الله على عباده وإنكار لأعظم حقائق هذا الوجود ومفسدة للإنسان أي مفسدة لأن المخلوق إذا غفل عن حقيقة عبوديته لخالقه فسدت عقيدته وبفسادها يفسد فكره وإرادته وسلوكه وعلاقاته بغيره ويفسد مجتمعه وبفساد المجتمعات تفسد الأمم وتلوث بمختلف صور الفساد لخروجها عن منهج الله وأوامره ولفقدانها الصلة الحقيقية بالله تعالى. وبهدايته الربانية في الأمور التي لا يمكن للإنسان أن يضع لنفسه فيها أية ضوابط صحيحة وهي أمور الدين.

٢- فساد العبادات:

ويظهر ذلك في العديد من العبادات الموضوعة المنتشرة في مختلف جنبات الأرض والله تعالى يجب أن يعبد بما أمر ولأن المفهوم اللغوي للعبادة هو الخضوع الكامل لله تعالى بالطاعة لأوامره واجتناب نواهيه والإنسان مجبول بفطرته على الإيمان بالله وعبادته بما أمر وإذا لم يهتد الإنسان إلى العبادة الصحيحة لله سول له الشيطان أنماطاً من العبادة المصطنعة يملأ بها الحاجة الداخلية إلى الدين وإلى العبادة. ولا يمكن لعاقل أن يتصور إمكانية أن يصطنع لنفسه نمطاً من العبادة أو أن يصنعها له إنسان مثله ثم يتخيل قبول الله سبحانه وتعالى لتلك العبادة الموضوعة، وغالبية أهل الأرض واقعون اليوم في هذا الشرك من شراك الشيطان التي إذا وقع الإنسان فيها فقد صلته بالله وبفقدها يفقد الإنسان إنسانيته ويتحول إلى كيان فاسد مفسد مدمر لذاته ولأهله ولمجتمعه يعبد ذاته أو أهواءه وشهواته ورغباته أو يعبد غيره من البشر أو يعبد الشيطان وفي كل هذه الحالات لا يمكن له أن يحيا حياة سوية على الأرض أو أن يكون مستخلفاً صالحاً فيها.

٣- فساد كل من الأخلاق والمعاملات:

إذا فسدت العقائد والعبادات فسدت الأخلاق والمعاملات وانتشر بين الناس حب استغلال السلطة والتعدى على المال العام وصاحب ذلك فساد الذمم والخداع والكذب ونقض العهود والعقود والمواثيق وأكل أموال الناس بالباطل وتطفيف الموازين والمكاييل والغش فى الصنعة والعمل وانتشار السرقات والنهب والسلب والرشوة والمحسوبية والربا وإشاعة كل من الاستبداد والمظالم والفواحش والفتن والاعتداء على الأعراض والأموال والممتلكات واختلاط الأنساب ونصرة الباطل وأهله ومحاربة الحق وجنده وفساد الأحكام والتصورات والقيم والنظم وإفساد العقول وضياع القدوة الحسنة وغياب الشفافية وغير ذلك من صور الفساد المعنوى والأخلاقى والسلوكى وهو من أبشع صور الإفساد فى الأرض وكلها من معاصى الله التى تستجلب غضبه – سبحانه وتعالى – وتستوجب نزول عقابه فى صور عديدة منها جدب الأرض ونقص الأموال والأنفس والثمرات وتفشى الأوبئة والأمراض والأوجاع والاجتياح بمختلف الكوارث ومنها الزلازل وثوران البراكين والعواصف والأعاصير والحرائق والغرق والاجتياح كذلك بالأعداء الجائرين وبالمظالم المتفشية والشح والغلاء وانتزاع البركة من كل شئ والهبوط بالإنسانية إلى ما هو دون مستويات الحيوان الأعجم لأن الحيوان لا يخرج بسلوكه عن الفطرة التى فطره الله – تعالى – عليها والتى يعبد خالقه بها بينما الإنسان يستطيع بإرادته الحرة أن ينحط إلى ما دون مستوى الحيوان. وليس أدل على ذلك من إباحة عدد من الحكومات الغربية للشذوذ الجنسى والزواج بالمثل والسماح لهؤلاء الشواذ بالتبنى فينشأ الأطفال فى هذه البيئات العفنة التى تدعمها الدولة وتسمح لها بكل الحقوق والاجتماعية والمالية ينشأون وهم يألفون الفساد والانحراف ولا يرون فيه شيئاً يشين أو يعيب وهو من أخطر صور الفساد المعنوى فى الأرض.

ثانياً: الإفساد المادى فى الأرض:

بالإضافة إلى الفساد المعنوى الذى قد عم الأرض فى زمن الفتن الذى

نعيشه فإن هذا النص القرآني المعجز يشير أيضاً إلى الإفساد المادى فى بيئات الأرض الثلاث: التربة والماء والهواء وذلك لأن لفظ (البر) تشمل كلا من اليابسة وما يحيط بها من غلاف غازى وكذلك لفظة (البحر) تشمل كلا من القاع المنخفض والماء الذى يمتلىء به وما يحيط بهما من غلاف غازى. وهذه البيئات الثلاث وما بكل منها من مختلف صور الأحياء والجمادات تشكل حلقات مترابطة يتأثر بعضها ببعض وأى إخلال بنظام إحداها يؤثر سلباً على النظم الأخرى.

وقد بدأت مشكلة تلوث البيئة فى التفاقم مع بداية الثورة الصناعية فى أوروبا الغربية والتى كانت أولى خطواتها مع اختراع الآلة البخارية. فقد أدى سوء استخدام الوقود الأحفورى (من أمثال الفحم الحجرى والنفط والغازات الطبيعية) فى آلات الاحتراق الداخلى ومحركات الدفع والمصانع المختلفة إلى زيادة نسبة عدد من الغازات السامة التى من أخطرها أكسيد كل من الكربون والكبريت والنيتروجين والرصاص والهيدروكربونات غير كاملة الاحتراق التى تطلق كلها فى الغلاف الغازى للأرض.

وهذا الاعتداء على البيئة وعلى ما فيها من أحياء هو من معانى الإفساد فى الأرض لأنه إفساد مادى ملموس يحدثه الإنسان بسوء سلوكياته وتصرفاته فى مختلف بيئات الأرض وقد أحكم الله خلقها وضبط علاقاتها ببعضها كماً وكيفاً بإحكام واتزان لا يخله إلا إفساد الإنسان وذلك لأن الله تعالى خلق كل شىء بقدر أى بمكونات ومقادير محددة ومتوازنة وبصفات وخصائص معينة تكفل لكل بيئة الملاءمة الكاملة لأنواع الحياة التى خلقت لها فى توافق واعتدال لا يفسده إلا تدخل الإنسان بطمعه وجشعه وإسرافه أو بجهله وتخلفه وتسيبه أو بسوء نواياه وخبث مقاصده مما يفسد مكونات النظم البيئية الدقيقة كماً وكيفاً ويخرجها عن سويتها التى خلقها الله تعالى بها ويجعلها غير موائمة للأحياء التى تعيش فيها ويصيبها بشىء من الخلل أو الشلل الذى يعطلها عن أداء وظيفتها ويفقدها صلاحيتها ونفعها. ومن صور هذا الافساد المادى ما يلى:

١ – التلوث الكيميائى للبيئة: ويتم ذلك بتزايد إطلاق كميات هائلة من الملوثات الغازية والسائلة والصلبة إلى مختلف بيئات الأرض من التربة والماء والهواء وذلك مثل غازات أول وثانى أكسيد الكربون وأكاسيد كل من النيتروجين والكبريت والرصاص والزئبق والهيدروكربونات غير كاملة الاحتراق وغيرها من الملوثات السامة لكل حى. وتميل هذه الغازات إلى التفاعل السريع مع مادة الهيموجلوبين فى خلايا الدم الحمراء أثناء مرور الدم بشعيرات الرئتين فينتج عن هذه التفاعلات أعداد من المركبات الكيميائية المعقدة التى تعيق الدم عن القيام بدوره فى الاتحاد مع الاكسجين القادم مع عملية الشهيق من أجل نقله إلى بقية أجزاء الجسم ومن أعراض ذلك حدوث ضيق فى التنفس إلى حد الشعور بالاختناق وما يستتبعه من تأثيرات سلبية على كل من المخ وبقية الجهاز العصبى تصحبها آلام الصداع الحادة وقد تؤدى إلى الذبحة الصدرية وتنتهى بالوفاة.

كذلك فإن غاز ثانى أكسيد الكربون له قدرة هائلة على امتصاص الأشعة تحت الحمراء القادمة مع أشعة الشمس مما يؤدى إلى رفع درجة حرارة الغلاف الغازى للأرض بالتدريج خاصة وأن ثانى أكسيد الكربون إذا زادت نسبته فى الغلاف الغازى للأرض فإنه يتجمع بالقرب من سطحها نظراً للكثافة النسبية العالية له فيعمل كحاجز حرارى يحيط بالأرض إحاطة كاملة مما يؤدى إلى خلخلة واضطراب المناخ وتحرك العواصف والأعاصير المدمرة.

وتدل القياسات العلمية المختلفة على أن نسبة ثانى أكسيد الكربون فى جو الأرض وهى فى الأصل فى حدود ٠,٠٠٣ ٪ تقدر اليوم بحوالى ٠,٠٣١٨ ٪ بمعنى أنها قد تضاعف أكثر من عشر مرات منذ بداية الثورة الصناعية إلى اليوم.

أما أكاسيد النيتروجين والتى ينتج بعضها عن تعفن النفايات التى ينتجها الإنسان وينتج البعض الآخر عن أكسدة نيتروجين الغلاف الغازى للأرض

بواسطة درجات الحرارة العالية الناتجة عن أجهزة الاحتراق الداخلى المختلفة فى كل من المصانع ووسائل النقل المتعددة من (السيارات والطائرات والصواريخ والبواخر والبوارج وغيرها). وأكاسيد النيتروجين هى غازات سامة وضارة خاصة بالأجهزة التنفسية للأحياء وفى مقدمتها الإنسان إذا زادت نسبتها فى الهواء عن ٠,٠٥ ٪/جرام/م٣. بينما تركيزها السائد فى أغلب المدن الصناعية اليوم يتعدى ١ جرام/م٣.

وبالمثل فإن أكاسيد الكبريت (أول وثانى أكسيد الكبريت) هى غازات مهيجة لانسجة الأجهزة التنفسية عند كل من الإنسان والحيوان وضارة بالنبأتات وبالجمادات وذلك لأن ثانى أكسيد الكبريت بالذات له قابلية عالية للذوبان فى الماء مكونا حمض الكبريتيك وهو واحد من أقوى الأحماض المعروفة لنا وله قدرة فائقة على إذابة العديد من المواد العضوية وغير العضوية مما يؤدى إلى إتلاف الأنسجة الحية وإلى تآكل كل من المواد الفلزية (مثل الحديد والنحاس والرصاص وغيرها) وغير الفلزية (ومنها أحجار البناء والمواد الخرسانية والخشبية) وقد ينتج عن هذه التفاعلات هباءات من المركبات الكبريتية الضارة (مثل كبريتات وكبريتيدات العناصر المختلفة) التى تنتشر فى الجو فتلوثه وسرعان ما تنتقل من الهواء إلى كل من التربة والماء فتلوثهما ثم تجد طريقها إلى الأحياء فتصيبهم بأضرار بالغة وذلك عن طريق ما يعرف باسم الأمطار الحمضية.

ومن الثابت علمياً أن مثل هذه الملوثات للبيئة لها علاقة مباشرة بانتشار العديد من الأمراض الخطيرة من أمثال الأورام السرطانية ونقص المناعة والحساسية وغيرها من أمراض الجهاز التنفسى.

ولا يتوقف دور مختلف المصانع والأنشطة الصناعية الأخرى ووسائل المواصلات (من السيارات والشاحنات والطائرات والبواخر والغواصات وحاملات الطائرات والصواريخ وغيرها) عند حدود ما تطلقه من الغازات والسوائل والجوامد

السامة بل تتعدى ذلك إلى ما تثيره أجهزة المصانع ووسائل الاتصال والنقل المختلفة من ضجيج له تأثيراته السلبية على مختلف صور الحياة وما تنتجه وسائل النقل الأرضية من غبار ونتائج تأكل كل من الإطارات وصفائح الكوابح وأسطح الطرق المرصوفة وغيرها.

ولم يهتم الدارسون بقياس معدلات تلوث البيئة خاصة فى أجواء المدن الصناعية المكتظة بالسكان حتى شتاء ١٩٥٢م حيث سادت حالة من الركود الجوى فى الغلاف الغازى لمدينة لندن (العاصمة البريطانية) لعدة أيام متتالية تجمعت خلالها أدخنة المصانع فى جو المدينة على هيئة كتل من الضباب الأسود الراكد القريب من سطح الأرض والشديد التلوث بعوادم مداخن المصانع وتسبب هذا الضباب الأسود فى وفاة أكثر من أربعة آلاف شخص واستمر التلوث فى جو المدينة بعد زوال هذا السحاب الراكد لمدة زادت على خمسة عشر يوماً وقد تكرر حدوث هذه الكارثة فى تاريخ مدينة لندن عدة مرات كان من أشدها ما حدث فى شتاء سنة ١٩٦٢م كما تكرر فى تاريخ غيرها من المدن الصناعية الأوروبيةوالأمريكية.

ومن أخطر كيماويات التلوث غازات كلورو فلوريد الكربون (C.F.C.) أو ما يعرف باسم «غاز الفريون» الذى يستخدم فى وسائل التبريد والتكييف المختلفة وفى مختلف حاويات وعلب الرش كدافع لرذاذ السوائل والغازات المضغوطة. ومن مخاطر هذا الغاز أنه يعمل على اختزال الأوزون (O_3) فى طبقته الخاصة المحيطة بالأرض وتحويلها إلى الأكسجين (O_2) مما يعرض الحياة على سطح الأرض للدمار، وذلك لأن طبقة الأوزون جعلها الخالق – سبحانه وتعالى – حماية للحياة على الأرض من أخطار الأشعة فوق البنفسجية القادمة مع أشعة الشمس وهى أشعات لها قدرات كبيرة على اختراق الأجسام الصلبة ومنها جسم الإنسان فتصيبه بعدد من الأمراض التى منها سرطانات الجلد وأمراض العيون. ومن رحمة الله تعالى – أن حركة الرياح تحمل غاز الفريون المنطلق إلى الجو

بواسطة عمليات التلويث المختلفة إلى المنطقتين القطبيتين الشمالية والجنوبية وأدى ذلك إلى تفكك طبقة الأوزون فوق قطبى الأرض محدثاً ما يعرف اليوم باسم مجازا «ثقبى طبقة الأوزون» ومن هذين الثقبين تنفذ حزة الأشعة فوق البنفسجية بجرعات تفوق طاقة احتمال الحياة الأرضية.

ولم يكتشف ثقب الأوزون فى القطب الجنوبى إلا فى سنة ١٩٨٢م ولم يتم الإنذار بمخاطره بالنسبة للأحياء الأرضية إلا فى سنة ١٩٨٤م. وفى قمة الأرض التى عقدت فى (ريودى جانيرو) فى أوائل الثمانينات من القرن العشرين تعهد المؤتمرون بالعمل على خفض إنتاج الفريون إلى النصف قبل سنة ١٩٩٩م ولم يتم ذلك بعد.

وإذا أضفنا إلى ذلك إمكانية تسرب المواد الكيميائية ذاتها من المصانع كما حدث فى كارثة بوبال فى الهند والتى راح ضحيتها آلاف من البشر ومن الحيوانات. وإذا أخذنا فى الاعتبار تزايد معدلات تراكم العديد من المركبات الكيميائية الضارة فى أجساد الكائنات الحية نتيجة للإفراط فى استخدامات المواد الحافظة والملونة للأغذية والمبيدات الحشرية والمخصبات الزراعية والمنظفات الصناعية وغيرها. ومن مثل الإفراط فى استخدام مياه الصرف الصحى المعالجة كيميائياً فى رى النباتات أو نتيجة لقذف نفايات المصانع والمستشفيات وغيرها من النفايات إلى مياه الأنهار والبحيرات والبحار مما يؤدى إلى تلوث كل من الماء وما يذخر به من الأحياء خاصة فى ظل تزايد ما ينتجه الإنسان المعاصر من نفايات منزلية (تقدر للفرد الأمريكى الواحد بحوالى الألف كيلو جرام من القمامة فى المتوسط سنوياً) اتضحت لنا جوانب من أخطار تلوث البيئة تهدد الحياة على الأرض بمختلف أشكالها تهديداً حقيقياً يستوجب من كل إنسان عاقل التوقف لدراسة كيفية التقليل من إنتاج تلك الملوثات والتخلص مما تكدس منها فى بيئات الأرض لإعادة الحياة الأرضية إلى فطرتها السوية التى خلقها الله – تعالى – عليها.

٢- الإفساد فى الأرض بالتلوث الحرارى:

لا تقتصر أخطار حرق ملايين الأطنان من الفحم والنفط والأخشاب والغازات الطبيعية يومياً فى مختلف دول العالم على ما تطلقه من غازات وأبخرة سامة وملوثات صلبة وسائلة بل يمتد ذلك إلى رفع درجة حرارة الهواء الملاصق لسطح الأرض لعدم تشتت هذه الحرارة بالكامل إلى طبقات الجو العليا بسبب ما تحدثه هذه الغازات السامة من ظاهرة «الاحتباس الحرارى» وأثرها على اختلال الميزان المناخى الدقيق للأرض وما يمكن أن يصاحب هذا الاختلال الدقيق للأرض وما يمكن أن يصاحب هذا الاختلال من كوارث مثل العواصف والأعاصير المدمرة وموجات الجفاف والتصحر المهلكة وانصهار الجليد من كل من المناطق القطبية وقمم الجبال وما يمكن أن يؤديه ذلك إلى ارتفاع لمنسوب الماء فى البحار والمحيطات وإغراق لكل من الجزر البحرية والمناطق الساحلية والمنبسطة.

وتكفى هنا الإشارة إلى تصحر أكثر من ستة ملايين هكتار من الأراضى الزراعية وأراضى الرعى سنوياً منذ بدء الثورة الصناعية فى أوروبا الغربية وإلى تدمير أكثر من عشرة ملايين هكتار من أراضى الغابات وتحويلها إلى أراض زراعية فقيرة.

٣- الإفساد فى الأرض بالتلوث الإشعاعى:

وهو من أشد منتجات التقنيات الحديثة إفساداً لبيئة الأرض وفتكاً بالإنسان والحيوان والنبات وينتج عن تحلل العناصر المشعة التى أخذت دوائر استخدامها فى الاتساع بانتشار كل من المفاعلات والأجهزة والأسلحة النووية بمختلف صورها وأشكالها ومحطات توليد الطاقة الكهربائية بواسطة المواد النووية والأجهزة الطبية والبحثية المستخدمة لتلك المواد وتوظيف اليورانيوم المنضب (المستنفد) فى العديد من الصناعات الحربية والمدنية وصعوبة التخلص من النفايات النووية والتى لا تجد الدول المنتجة لها مثوى سوى قيعان البحار والمحيطات أو أراضى

دول العالم الثالث واستحالة ضمان عدم وصول هذه النفايات إلى مختلف بيئات الأرض بعد دفنها أو عدم تسرب الإشعاع من محطات توليد الطاقة النووية وتكفى فى ذلك الإشارة إلى تسريبات الإشعاع من مفاعل تشرنوبل بالاتحاد السوفيتى السابق ومن مفاعل جزيرة الأميال الثلاثة بالولايات المتحدة الأمريكية ومفاعل استكتلندة بالمملكة المتحدة وما أحدثته هذه التسريبات الإشعاعية من كوارث بيئية وبشرية كبيرة.

وقد أخذت نسب الإشعاعات النووية بالتزايد فى مختلف بيئات الأرض بصورة تنذر بالخطر وذلك مع التوسع فى العقود القليلة الماضية فى استخدام النظائر المشعة فى العديد من الأنشطة الصناعية والطبية.

والأشعة النووية لها قدرات تدميرية مهلكة للخلايا والأنسجة الحية إذا تعرضت لها بجرعات تتجاوز احتمالها ويعتقد بأن لذلك علاقة بزيادة الإصابة بالأورام السرطانية فى السنوات الأخيرة خاصة وأن أهل الأرض لم يكادوا أن يخرجوا من آثار الثورة الصناعية حتى دخلوا فى حربين عالميتين فى القرن العشرين كان ضحاياهما أكثر من ٦٥ مليون قتيل غير ملايين المقعدين والمشردين والأيتام والأرامل وعشرات البلايين من الدولارات على هيئة خسائر مادية متنوعة. وانتهت الحرب العالمية الثانية بكارثتى كل من فلسطين واليابان حين سلمت المؤامرة البريطانية أرض فلسطين لغلاة الحركة الصهيونية العالمية دون أدنى حق فأغرقوها فى بحر من الدماء والأشلاء والخراب والدمار وضربت الطائرات الأمريكية مدينتى هيروشيما ونجازاكى اليابانيتين بالقنابل الذرية فأبادتهما إبادة كاملة وأهلكت سكانهما وتركت الناجين من بينهم فى حالات من التشوه والإعاقة المرعبين ولوثت مختلف البيئات بآثار الإشعاع إلى يومنا الراهن. وتخزين كل من الدول الصناعية الكبرى والكيان الصهيونى الغاصب لأرض فلسطين لآلاف الرؤوس النووية ولغيرها من أسلحة الدمار الشامل بكميات كبيرة لهو من أكبر مصادر تلوث البيئة.

ولا تزال الأرض تعصف بها أعاصير الحروب الباردة والساخنة ويزداد بها مخزون أسلحة الدمار الشامل عند الدول الصناعية وأذنابها، ولا يقتصر خطر تلك الأسلحة على استعمالها ولكن يكمن الخطر فى إمكانية وقوع ثورة بركانية أو هزة أرضية أو سلسلة من العواصف والأعاصير المدمرة التى يمكن أن تصل إلى ذلك المخزون وتفجره ..!! ومن دوافع تكديس أسلحة الدمار الشامل الصراع على استنزاف ثروات الأرض وأغلبها ثروات غير قابلة للتجدد بنفس سرعات الاستنزاف. والإسراف المخل فى التعامل مع العديد من هذه الثروات وهدرها فى غير أوجهها الصحيحة أو تعطيلها بالكامل وكل ذلك يعرض الأرض اليوم لسلاسل من الكوارث البيئية والبشرية بالإضافة إلى الكوارث المعنوية ولذلك قال تعالى: «ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون» «الروم (٤١)».

وهذه الآية الكريمة من أيات الأعجاز العلمى والغيبى فى كتاب الله لأنه لم يكن لأحد من الخلق إمكانية تصور الواقع الحالى البئيس للأرض من قبل ألف وأربعمائة من السنين. وهذا السبق الإخبارى وأمثاله فى القرآن الكريم مما يشهد له بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية بل هو كلام الله الخالق الذى أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله وحفظه بعهده الذى قطعه على ذاته العلية فى نفس لغة وحيه (اللغة العربية) وحفظه حفظاً كاملاً على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية وتعهد بهذا الحفظ إلى ما شاء الله تعالى - فالحمد لله على نعمة القرآن والحمد لله على نعمة الإسلام وصلى الله وبارك على النبى الذى تلقاه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل السادس
العولمة والعالم الإسلامي

أولاً: مكتبة الاسكندرية.. ودعوة للحوار

العالم كله فى حالة تربص.. وأمريكا تضع يدها على الزناد فى وضع استعداد لتطلق أول صواريخها على العراق.. وإسرائيل تحصد رءوس الأطفال فى فلسطين بالرصاص وتهدم عليهم بيوتهم بالمتفجرات استباقاً للإشارة التى سوف تأتى من الرئيس الأمريكى للزمن بالتوقف، وللقدر بالإنصات لانطلاق أول فوج من قاذفات الصواريخ لتأديب الزعيم العراقى المتمرد، وساعتها يجب أن يتوقف التاريخ إجلالاً واحتراماً لهذا الإسهام الحضارى الأمريكى العظيم لاستئصال بذور الشر من الوجود ولإنقاذ الإنسانية من سرطان العنف الوبيل ومن رءوس الإرهاب وشياطين الديكتاتورية والتطرف.. هكذا تقول الأبواق الأمريكية.

وسوف ترتفع الأعلام الأمريكية فى كل مكان.. لتقول.. هذه حضارتنا ومفهوم القوة بجميع صورها.. وضع الأيدى على جميع مصادر الثروة وعلى البترول فى جميع المظان التى يوجد فيها من أفغانستان إلى العراق إلى السعودية إلى الكويت إلى إنتاج واحتكار القوى الذرية إلى قيادة سباق التسلح فى العالم كله والتحكم فى وسائله وغاياته والسيطرة بالرعب على العالم بأجمعه.

وهذه هى الحضارة الأمريكية.. أن تصبح أمريكا القوة التى لا يقدر عليها أحد.. ونحن كمسلمين لا نحسد أمريكا على هذا الطموح.. ولا نريد لأنفسنا تلك الزعامة ولا نغبطها على ما تتطلع إليه أبداً.

ويصادف فى هذا السباق المحموم أن تتقدم مصر بإسهام فريد فى بابه هو افتتاح مكتبة الإسكندرية وإعادة الروح إلى هذه المنارة العلمية التى كانت تطل على العالم من شاطئ المتوسط لتعاود الإطلالة على مسيرة التاريخ.. وتعاود الإشعاع من جديد.. وتعاود السبق بالكلمة.. «إقرأ» تقدمها للجميع على أوسع نطاق بكل اللغات بالنيابة عن جميع الحضارات.. ودون مقابل.

نعم .. إنها الكلمة .. كل مرادنا .. أن نقدمها للجميع .. محبة وأخوة «اقرأ» .. كما أمرنا الله فى محكم كتابه .

«اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم .. علم الإنسان ما لم يعلم» (سورة العلق الآيات من ١-٤) .

لا نريد أن نطلق صواريخنا على أحد .. لا نريد أن نغزو أحداً .. بل نريد أن نغزو الأرواح ونخاطب القلوب .. ونحيى النفوس .. ونشرح الصدور .. ونهدى الخواطر.

نريد أن نصلح ونغير ونطور بالكلمة وبالحسنى وبالمعروف .

هذا هو الطريق الإلهى للحضارة .. لم تعرف الحضارات طريقاً آخر.

إنها الكلمة أولاً وأخيراً .. إنها الكتاب والصحيفة والمخطوطة والمقال .. والصوت الحميم الهامس بالمعرفة والمحبة والهداية والنور لكل القلوب .

الحضارة كلمة .. والدين كلمة .. والسلام كلمة .

والفتح كلمة .

والنور كلمة .. والتقدم كلمة وللكلمة طريق آخر للإصلاح غير طريق العنف بأنواعه .

الكلمة تفجر ينابيع القلوب بدون ديناميت .

والكلمة تضىء ظلام النفوس بدون كهرباء .

والكلمة تعالج جروح الضمائر دون خيوط جراحية .

الكلمة هى المعجزة الإلهية .. هى كن فيكون .. هى مفتاح القلوب ونور البصائر.

إننا ندعو بوش إلى مكتبة الإسكندرية ليجلس حيث جلس عظماء السلف.. قبله.. ليقرأ من المناهل العذبة التى يقرأ منها الأكابر العظام.. وليصعد إلى العتبة العالية التى كانوا يجلسون فيها ويرتقى إليها.. ويعلم الرئيس بوش بتربيته الحضارية أن التواضع خلة العظماء.. وأن الانفتاح على الآخرين صفة حضارية، وخلة تقدمية أحسب أنه يمتلكها بحكم الحضارة الأمريكية المنفتحة على العالم.

وأرجو أن يفتتح الحوار.. ليس بالقنابل والصواريخ والقذائف.. بل بما هو أعظم وأخطر.. بالكلمة.. فهذه هى الحضارة يا سيادة الرئيس بوش.. وأنت أعلم.. بأن الحضارة حوار..

إن ما تقوم به إسرائيل فى فلسطين.. هو عدوان وتخلف وجاهلية وعار ووصمة للحليف الأمريكى.

أن قتل الأطفال وهدم بيوتهم ودفنهم تحت الأنقاض تحت سمع وبصر الحليف الأمريكى ليس شجاعة.. بل هو جبن وإجرام.. وهو يشين أمريكا كما يشين حضارتها.. ولا نتصور أن يمضى الزعيم الكبير بوش فى هذا الطريق ولا أن يشجع على تلك الجرائم.

إننا ندعو بوش إلى مكتبة الأسكندرية لنسمع منه ونستمع إليه ونتحاور معه نريد أن نستنير.. ونتعلم من خبرته الأوسع.

وبداية الحضارة فى مفهومنا هو أن نستمع إلى الآخر ونتحاور مع الآخر بدون وسطاء وبدون مترجمين وبدون سواتر وبدون حوائط لغوية.. واحسب أنه أمر مطلوب بالنسبة للآخرين أيضاً أن يتحاوروا معنا بقلوب مفتوحة.

وفى مصر نحن نألف اللغة الانجليزية ألفتنا للغة العربية.. ولا توجد عندنا غربة لغوية بفضل الأفلام والفضائيات والأغانى ونجوم الفن الأمريكى الذين نطرب لهم.

سوف يكون حواراً حضارياً ممتعاً ومفيداً لجميع الأطراف.

إن السلاح وحده لا يحسم معركة إلا بين بلطجية وهو لا يطفىء ناراً بل يشعل جحيماً.

وأحسب أننا نودع هذا العصر الذميم غير آسفين على وداعه.. وأرجو أن نراك فى وداعه معنا.

مع تمنيات مواطن مصرى يكن لأمريكا كل الحب والإعزاز.

ثانياً: الانتماء الثقافى.. والوطن

تضافرت مجموعة من العوامل والظروف فى مرحلة تاريخية معينة على الترويج لفكرة تجمع الشعوب التى تعيش فى هذه المنطقة من العالم والتى تعرضت طوال تاريخها لأطماع وصراعات الامبراطوريات القديمة (فى حضارات وادى النيل والشام ووادى الفرات والساحل الفينيقى)، ثم لغارات الغزو الأوروبى (فيما عرف بالحروب الصليبية) وحتى غارات الاحتلال البريطانى والفرنسى فى القرن التاسع عشر..

وكانت الدعوة للتجمع نوعاً من المقاومة ومحاولة استنفاذ الهوية وخصوصية تلك الشعوب وحمايتها من الذوبان فى ثقافة الغزاة.. ولقد تنازع الدعوة للتجمع تياران أساسيان.. هما تيار الدعوة للجامعة الإسلامية (جمال الدين الأفغانى ومن تأثروا به)، ثم تيار القومية العربية والوحدة العربية (ساطع الحصرى ومنظرو حزب البعث وحركة القوميين العرب ثم الحركة الناصرية أخيراً) وكانت الدعوة للجامعة الإسلامية مواكبة للانهيارات التى بدأت تصيب بنيان دولة الخلافة العثمانية وتنذر بسقوطها وأصبحت تركيا هى رجل أوروبا المريض التى تتابع كل القوى المؤثرة فى السياسة العالمية وقتها أحواله وخطوات تداعيه فيما اصطلح على تسميته وقتها «بالمسألة الشرقية».. وكرد فعل على هذه التطورات التى تنبئ بتلاشى آخر خلافة إسلامية كانت أفكار «المقاومة» المتشبثة بأن يبقى

«الاسلام» مرجعية «قومية» تعمل على إقامة كيان سياسى جامع يحل محل الخلافة ويملأ الفراغ الذى تركه «وجود» منقض ومندثر لسلاطين آل عثمان وكان وراء هذا التوجه ما كانت تقدمه دولة الخلافة من نفوذها وهيبتها غطاء للأقطار الضعيفة المتناثرة فى الأرجاء الشاسعة والواقعة تحت السلطان الروحى للباب العالى إن لم تكن واقعة فعلاً تحت حكمه المباشر أو حكم ولاته بوكالة منه وعلى سبيل المثال راح مصطفى كامل باشا فى مواجهة للاحتلال البريطانى يدعو لاستقلال مصر - ضمن إطار الدولة العثمانية - ويحدد مطلبه فى جلاء الانجليز وبقاء مصر فى حماية الخلافة فى الأستانة.

وبينما كان سقوط المرجعية الدينية فى أوروبا وانهيار سلطة البابوات الزمنية وفك الارتباط بين الكنيسة الكاثوليكية والدولة هو البداية المبكرة والحقيقية لحركة الاصلاح الدينى وبزوغ عصر النهضة.. كان الأمر على العكس تماماً فى هذه المنطقة - التى قيل عنها دائماً إنها أرض الديانات والمقدسات إذ كان سقوط دولة الخلافة الإسلامية بعد نجاح الثورة الكمالية فى تركيا وإعلان أتاتورك ورفاقه علمانية الدولة الجديدة.. سبباً فى تكون ردود أفعال حماسية للتمسك بوجود «جامعة» سياسية اسلامية تضم شعوب المنطقة.. مؤكداً أن الانتماء «للإسلام» هو انتماء لهوية بديلة عن الانتماء لمكان أو لمجموعة بشرية متجانسة تشترك فى المكان والنشاط والمصير.

فى نفس الوقت تقريباً كانت هناك قوى التيار الآخر الذى يريد الحماية والنجاة فى الارتباط بالعنصر العربى داعياً لاعتناق «العربية» كأصل وهوية.. وهو التيار الذى يرى أن خروج عرب «الجزيرة» بعد البعثة مبشرين بالدين الجديد ومنتشرين عبر الفتوحات فى المنطقة المحيطة والممتدة من المحيط وجبال أطلس إلى الخليج وجنوب القوقاز.. أدى إلى انتشار «العنصر» العربى فى تلك الأمصار المفتوحة واستطاع أن يعربها جنساً وعرقاً بالاستقرار داخل كثافتها البشرية وتهجينها وتحويلها بالتدريج إلى جزء منه.. وتقاطع التياران الإسلامى

والعربى عند نقطة أزمة كانت فى نفس الوقت نقطة اتفاق. فكلا التيارين كان يروج فكره وحده .. وكلاهما ينفى الانتماء الوطنى.

فى الحركات الراديكالية الاسلامية تسيد الاعتقاد بمواطنة «الإسلام».. وتم تغييب القيمة الوطنية للأرض وخصوصية المجتمع والناس.. فصفة أى مواطن كمسلم تجب صفته كمصرى أو سورى أو عراقى أو مغربى أو حتى باكستانى أو إندونيسى.. فهنا يصادر الوطن لصالح العقيدة.. وتصبح عبارة «ديار الاسلام» بديلاً للوطن.. و«الأخ المسلم» هو وحده الأخ المعترف به أيضاً.

ثالثاً: العالم الإسلامى فى عصر العولمة

انطلقت حركة العولمة، بأهدافها الأساسية والقوى الرئيسية الدافعة لها، انطلاقة اقتصادية فى جوهرها، إلا أن امتداداتها الاجتماعية والسياسية والثقافية، وانعكاساتها بالتالى على نظم تنمية الموارد البشرية، لا تقل أهمية عن مضامينها الاقتصادية، إن لم يكن فى المدى القريب ففى المديين المتوسط والبعيد.

وتشكل تنمية الموارد البشرية فى المجتمعات بصفة عامة، وفى المجتمعات النامية بصفة خاصة، إحدى الأولويات الرئيسية فى الجهود الرامية لتحقيق التنمية البشرية ومواجهة التحديات الكثيرة التى تواجهها هذه المجتمعات، وهى التحديات التى تعمقت وشغلت أبعاداً جديدة فى ضوء حركة العولمة والتوجهات والتطورات العالمية.

ولقد اعتنى المفكرون من شتى المشارب سواء من العالم الإسلامى، أو من مختلف انحاء العالم، بالتأصيل والتعقيد والتنظير للعولمة كنظام عالمى أخذ فى الغزو والاكتساح وهو بهذا الاعتبار حقيقة من حقائق هذه المرحلة من التاريخ.

أن الفكر الاسلامى منذ فجر اليقظة والانبعاث فى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وإلى اليوم قد ساده الجنوح إلى الرفض المطلق للفكر الغربى والأعراض عن الأخذ به والاستفادة منة والتكيف معه، وأن المفكرين والمصلحين وأهل العلم وذوى الرأى قد توجسوا خيفة من المذاهب والمدارس الفكرية والاتجاهات والتيارات الثقافية، ودائماً ما كانوا يأخذون منها مواقف تتسم بالشك والريبة وعدم الاكتراث بها والتقليل منها، مما نتج عنه أن أصبحت تلك المواقف ظاهرة عامة يصطبغ بها الفكر الإسلامى، وقد انطبق هذا الموقف الفكرى على العديد من الافكار والنظريات والدعوات ومنها العولمة.

ولأن العالم الإسلامى يقع فى قلب الصراع العالمى المحتدم، مما يجعله مستهدفاً من النواحى كافة، ومعرضاً لمخاطر من جميع الأطراف التى تتصارع فى الساحة الدولية فقد ترتب على هذا تفاقم التحديات التى تواجهه بصورة تؤثر بشكل عميق فى الحياة العامة وتنعكس آثارها السلبية على العملية التنموية برمتها، و أهمها تتمثل فى التحديات الثقافية، والتحديات الاقتصادية، والتحديات الاجتماعية، والتحديات السياسية وأخيراً التحديات التنموية، أن الاستغراق فى تحليل أبعاد هذه التحديات والبحث عن السبل المؤدية إلى التعامل معها، يطول ويتسع مجاله، أن الرؤية الواقعية إلى طبيعة هذا العصر تؤكد حقيقة مهمة هى أن بناء القاعدة العلمية فى المجتمعات الحديثة، هى مفتاح التعامل مع تحديات هذا العصر، حيث أن بناء الانسان هو الأصل فى بناء الحضارة، ولأن المجتمع القوى القادر على الدفاع عن حقوقه ومصالحه، هو الذى تقوم به نهضة تربوية علمية وثقافية شاملة.

أن المقومات الثقافية والقيم الحضارية التى تشكل رصيدنا التاريخى، لن تغنى ولن تنفع بالقدر المطلوب والمؤثر فى مواجهة العولمة الثقافية، مادامت أوضاع العالم الإسلامى على ما هى عليه فى المستوى الذى لا يستجيب لطموح

الأمة، فالشعوب الضعيفة اقتصادياً والمتخلفة تنموياً، لا تملك أن تقاوم الضغوط الثقافية أو تصمد أمام الاغراءات القوية لتحافظ على نصاعة هوياتها وطهارة خصوصياتها، أنه لكى ينتقل العالم الإسلامى من مرحلة الضعف والتخلف إلى مرحلة القوة والتقدم فى اطار القيم الإسلامية فإن النهوض بالمجتمعات الاسلامية من جميع النواحى مع التركيز القوى على التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى موازاة مع العمل من أجل تقوية الاستقرار وترسيخ قواعده على جميع المستويات هو خط الدفاع الأول على جبهة مقاومة آثار العولمة الثقافية.

وتبدو الرؤية إلى المستقبل واضحة فى أهمية أن تنطلق من فهم الواقع، وتحليله، وتفكيك عناصره، لمعرفة العوامل التى تتحكم فى اتجاهاته ومساراته، أن التحدى الحضارى لا يواجه الا بتحد حضارى مواز له ومتكافئ معه ونتساءل هل العالم الإسلامى فى المقام الذى يهيىء له الرد على هذا التحدى الحضارى بتحد مماثل له؟ وهل هو فى الوضع الذى يسمح له بامتلاك شروط النهوض الحضارى لمد إشعاع الحضارة الإسلامية فى عالم اليوم وفى المستقبل أن الرد على تلك الأسئلة بشروط ثلاثة هى أشد إلحاحاً وأعمق تأثيراً لتغيير واقع العالم الإسلامى وصياغة مستقبله وتتلخص فى تحديث المناهج التعليمية وتطوير النظم التربوية، دعم البحث العلمى فى جميع حقول المعرفة وأخيراً تجديد أساليب الحياةالعامة.

أن العالم الإسلامى لا يملك أن يمنع العولمة من الانتشار، لأنها ظاهرة واقعية تفرض نفسها بحكم قوة النفوذ السياسى والضغط الاقتصادى والتغلغل الاعلامى والمعلوماتى التى يمارسها النظام العالمى الجديد، ولكن العالم الإسلامى يستطيع أن يتحكم فى الآثار السلبية لهذه العولمة، إذا بذل جهوداً مضاعفة للخروج من مرحلة التخلف إلى مرحلة التقدم فى المجالات كلها، وليس فحسب فى مجال واحد، للترابط المتين بين عناصر التنمية الشاملة ومكوناتها.

أن التعامل مع ظاهرة العولمة لابد وأن يقوم على أساس القوة الاقتصادية والاستقرار السياسى والسلم الاجتماعى والتقدم فى مجالات الحياة كلها، وهذا ما يتطلب، فى المقام الأول إصلاح الأوضاع فى العالم الاسلامى فى هذه المجالات جميعها، وترسيخ قواعد العمل الإسلامى المشترك، على مستوياته المتعددة، من أجل الدفع بالتعاون بين المجموعة الاسلامية نحو آفاق أرحب تطلعاً إلى مستقبل أكثر اشراقاً.

والقضية فى عمقها مرتبطة بمدى قوة الإرادة الاسلامية وتماسك جبهة التضامن الاسلامى وتضافر جهود المسلمين جميعا، فى سبيل بناء النهضة الحضارية للعالم الإسلامى، بالعلم، وبالفهم.

– تم بحمد الله تعالى –

السيرة الذاتية العلمية
للدكتور / محيى محمد مسعد

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً : البيانات الشخصية :

الحالة الاجتماعية متزوج وله ولدين مصطفى ومحمد.

العنوان: ٩٢ ش مركز مبارك الرياضى – تعاونيات سموحة – الاسكندرية.

تليفون: ٠٣/٤٢٧٦٣٣٩ – ٠١٠٥٧٨٢٦٠٤

E-mail: dr_mohie @ hotmail. com

العمل السابق: (١) لواء رئيس المحكمة العسكرية العليا بوزارة الداخلية.

(٢) عضو هيئة التدريس بمعهد طيبة العالى للحاسب والعلوم الإدارية – المعادى – القاهرة.

العمل الحالى: عضو هيئة التدريس بالمعهد العالى للحاسب الآلى ونظم المعلومات – ابو قير – الاسكندرية والمنتدب لتدريس الدراسات القانونية والاقتصادية بكلية التجارة – جامعة الاسكندرية – والمستشار القانونى والاقتصادى .

ثانياً: المؤهلات العلمية:

(١) درجة الدكتوراه فى الحقوق من جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٢م (العلوم الاقتصادية والمالية) .

(٢) درجة الزمالة فى الدراسات العليا فى الاستراتيجية القومية من اكاديمية ناصر العسكرية العليا عام ١٩٩١م.

(٣) دبلوم الدراسات العليا فى العلوم الاقتصادية والمالية من جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٣م.

(٤) دبلوم الدراسات العليا فى القانون العام من جامعة الإسكندرية عام ١٩٧٧م.

ثالثاً: الخبرة التدريسية:

(١) انتدب لتدريس الاقتصاد السياسى بأكاديمية الشرطة لمدة أربعة أعوام جامعية من ١٩٩٢/١٩٩٣ وحتى ١٩٩٥/١٩٩٦م.

(٢) انتدب لتدريس الاقتصاد السياسى بكلية الحقوق جامعة المنصورة لمدة ثلاثة اعوام جامعية ١٩٩٢/١٩٩٣ و١٩٩٤/١٩٩٥ و١٩٩٥/١٩٩٦م.

(٣) انتدب لتدريس الاقتصاد السياسى بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية لمدة ثلاثة أعوام جامعية ١٩٩٣/١٩٩٤ و١٩٩٥/١٩٩٦ و١٩٩٩/٢٠٠٠م .

(٤) انتدب لتدريس الدراسات القانونية بالمعهد العالى للسياحة والفنادق – بالسيوف – الإسكندرية – لمدة عامين جامعيين ١٩٩٣/١٩٩٤ و ١٩٩٤/١٩٩٥م.

(٥) انتدب لتدريس المالية العامة لطلاب الدراسات العليا (بدبلومات الضرائب والجمارك والاقتصاد العام) بكلية التجارة – جامعة الإسكندرية فى العام الجامعى١٩٩٣/١٩٩٤م.

(٦) انتدب لتدريس المالية العامة لطلاب الدراسات العليا (بدبلومات الضرائب والجمارك والاقتصاد العام) بكلية التجارة – جامعة الإسكندرية فى العامين الجامعيين ١٩٩٤/١٩٩٥ و١٩٩٥/١٩٩٦م.

(٧) انتدب لتدريس الدراسات القانونية لطلاب الدراسات العليا (دبلوم الضرائب) والمالية العامة (دبلومتى الجمارك والاقتصاد العام) بكلية التجارة – جامعة الإسكندرية فى العام الجامعى ١٩٩٦/١٩٩٧م.

(٨) انتدب لتدريس الدراسات القانونية (مادة التشريعات السياحية والفندقية)

لطلاب الفرقة الرابعة بكلية السياحة والفنادق - جامعة الإسكندرية لمدة عامين جامعيين ١٩٩٩/ ٢٠٠٠ و ٢٠٠٠/ ٢٠٠١م.

(٩) انتدب لتدريس الدراسات القانونية (مادة التشريعات السياحية والفندقية ومادة التشريعات السياحية الدولية) لطلاب الدراسات العليا (بدبلومات الدراسات السياحية والدراسات الفندقية والإرشاد السياحى) لمدة عامين جامعيين ١٩٩٩/ ٢٠٠٠ و ٢٠٠٠/ ٢٠٠١م بكلية السياحة والفنادق - جامعة الاسكندرية.

(١٠) انتدب لتدريس مادة تمويل المحليات لطلاب الفرقة الثانية بدبلوم الدراسات العليا فى اقتصاديات المحليات - بكلية التجارة - جامعة الإسكندرية فى العام الجامعى ٢٠٠١/ ٢٠٠٢م وحتى الآن.

(١١) انتدب لتدريس الدراسات القانونية لطلاب الفرقة الأولى بدبلوم الدراسات العليا فى الضرائب - بكلية التجارة - جامعة الإسكندرية فرع دمنهور - فى العام الجامعى ٢٠٠١/ ٢٠٠٢م وحتى الآن.

(١٢) انتدب لتدريس المالية العامة لطلاب الدراسات لعليا (بدبلومتى الجمارك واقتصاديات المحليات) - بكلية التجارة - جامعة الإسكندرية فى العام الجامعى ٢٠٠٢/ ٢٠٠٣م والعام الجامعى ٢٠٠٣/ ٢٠٠٤م.

(١٣) انتدب لتدريس مادة السياسات المالية لطلاب الفرقة الثانية بدبلوم الدراسات العليا فى الضرائب بكلية التجارة - جامعة الإسكندرية - فرع دمنهور فى العام الجامعى ٢٠٠٣/ ٢٠٠٤.

(١٤) انتدب لتدريس المالية العامة والدراسات القانونية لطلاب الفرقة الأولى بدبلوم الدراسات العليا فى الضرائب - بكلية التجارة - جامعة الإسكندرية فرع دمنهور فى العام الجامعى ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥ وحتى الآن.

رابعاً: المؤلفات العلمية:

١- نظام الزكاة بين النص والتطبيق - طبعة ٢٠٠٣- الناشر المكتب العربى الحديث بالاسكندرية (ثلاثة طبعات).

٢- كيفية كتابة الابحاث والإعداد للمحاضرات - طبعة ٢٠٠٤- الناشر دار المطبوعات الجامعية بالاسكندرية (ثلاثة طبعات)

٣ - العلاقة القانونية بين الممول والإدارة الضريبية - طبعة ٢٠٠٢ - الناشر مكتبة الاشعاع للطباعة والنشر بالاسكندرية (خمسة طبعات).

٤ - ظاهرة العولمة ... الأوهام والحقائق - طبعة ٢٠٠٤ - الناشر دار المطبوعات الجامعية بالاسكندرية (طبعتين)

٥- الاطار القانونى للنشاط السياحى والفندقى - طبعة ٢٠٠٠ - الناشر المكتب العربى - بالاسكندرية.

٦- المدخل للقوانين السياحية - طبعة ٢٠٠١ - الناشر مكتبة الاشعاع للطباعة والنشر بالاسكندرية.

٧- التنظيم الدولى السياحى بين الفكر والواقع - طبعة ٢٠٠١- الناشر مكتبة الاشعاع للطباعة والنشر بالاسكندرية.

٨ - بحوث فى الاقتصاد العربى وأهم تحديات القرن الحادى والعشرين - طبعة ٢٠٠١ - الناشر المكتب العربى الحديث بالاسكندرية.

٩- القطاع الأهلى المصرى بين الواقع والمأمول - طبعة ٢٠٠٢ - الناشر مكتبة الاشعاع للطباعة والنشر بالاسكندرية.

١٠- تمويل المحليات بين المساواة المالية والكفاءة الاقتصادية - طبعة ٢٠٠٢- الناشر مكتبة الاشعاع للطباعة والنشر بالاسكندرية.

١١- دور القانون فى تكوين ثقافة الانسان - طبعة ٢٠٠٤- الناشر دار المطبوعات الجامعية بالاسكندرية (طبعتين).

١٢- دور الدولة فى مصر فى ظل العولمة - طبعة ٢٠٠٣ - الناشر مكتبة الاشعاع للطباعة والنشر بالاسكندرية (طبعتين).

١٣- دور الدولة فى ظل العولمة - طبعة ٢٠٠٤ - الناشر مركز الاسكندرية للكتاب.

١٤- نحو استراتيجية للزكاة والضرائب لمواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية للعولمة - طبعة ٢٠٠٥ - الناشر المكتب العربى الحديث بالاسكندرية.

١٥- المجتمع العربى وأهم تحديات العولمة - جزءان الأول والثانى - طبعة ٢٠٠٤ - الناشر مكتبة الاشعاع للطباعة والنشر بالاسكندرية.

١٦- الوجيز فى مبادئ التحليل الاقتصادى الكلى، طبعة ٢٠٠٤ - اكاديمية طيبة - المعادى - القاهرة.

١٧- الوجيز فى مبادئ القانون - طبعة ٢٠٠٤ - اكاديمية طيبة المعادى - القاهرة.

١٨- الوجيز فى مبادئ علم الاقتصاد - طبعة ٢٠٠٤ - الناشر دار الجامعة الجديدة بالاسكندرية.

(١٩) مبادئ علم الاقتصاد - مترجم للغة الانجليزية - تأليف مشترك - أكاديمية طيبة المعادى - القاهرة.

خامساً: العضوية بالجمعيات العلمية:

١ - الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع بالقاهرة.

٢- الرابطة المصرية للقانون الدولى بالاسكندرية (فرع جمعية القانون الدولى بلندن).

٣ - الجمعية المصرية للطب والقانون بالاسكندرية.

٤ - نادى روتارى سان استفانو - فندق المحروسة الاسكندرية.

٥- جمعية اصدقاء مكتبة الاسكندرية (أمين اللجنة العلمية).

دكتور/ محيى محمد مسعد

محتويات الكتاب

الموضــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع الصفحة